

نجوم الهداية في بداية السالكين

لطلبة العلم الشريف

آداب أخلاق تصوف

بقلم

محمد جمال الدين عبد الحميد الجاويش

طالب علم بمعهد شبين الكوم

• حقوق الطبع محفوظة للمؤلف •

سنة ١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م

طبعة بمجوب بشبين الكوم

فهرست الكتاب

صفحة		المقدمة
٤	العلم وفضله	الباب الأول
١٠	آداب الطالب وما ينبغي له	الباب الثاني
١٧	احترام المشايخ	الباب الثالث
٢١	الجهاد الأكبر	الباب الرابع
٢٩	القناعة	الباب الخامس
٣١	مذمة البخل والبخل	الباب السادس
٣٤	تنبيه الغافلين	الباب السابع
٣٨	الشكر	الباب الثامن
٤٦	مرض القلب وعلاجه	الباب التاسع
٥٠	حكايات وحكم وأمثال	الباب العاشر
٥٥	التصوف	الباب الحادى عشر
٥٩	نبذة فى أقوال مشايخ الصوفية	الباب الثانى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى أنار قلوب العارفين بذكره وأفاض عليهم من أسرارهِ وتجلياته
وحبب إليهم الإيمان وزينه فى قلوبهم ، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان
أرسلك هم الراشدون ، وزهدهم فى الدنيا حتى هجروا الأوطان والأهل والأقارب
والخلان اشتياقاً لرؤيته فى الدار الآخرة فأنسوا بقربه وتلذذوا بمناجاته وسكروا
من لذى شرابه ، فرحم الله بهم الناس ، فهم نجوم أهل الأرض فى الهداية ، فمن
اتبعهم فقد فاز فوزاً عظيماً ، فجزاهم الله خير الجزاء ، والصلاة والسلام على سيدنا
محمد شجرة الأصل النورانية وعلى آله وأصحابه ذوى الهمم العالية والعلوم النافعة
صلاة وسلاماً عدد ما وسعه علم الله ما لاح بدر تمام وفاح مسك ختام (أما بعد)
فيقول العبد الفقير ذو التقصير محمد جمال الدين عبد الحميد الجاوبش طالب علم بمعهد
شبين الكوم بالسنة الأولى الثانوية الشافعى المذهب وهو من بلدة كفر شبرازنجى
مركز منوف قد حدثتني نفسى فى تأليف كتاب فى الآداب والأخلاق والتصوف
سميته (نجوم الهداية فى بداية السالكين) تذكرة لأولى الألباب ، وأرجو من الله
أن يكون خالصاً لوجه الكريم وينفع به المسلمين آمين .

الباب الأول - العلم وفضله

أخى المؤمن : اعلم وفقنى الله وإياك أن العلم أشرف ما يطلب وهو كنز لا يفنيه
مر القرون والأعوام به نعرف الحق ونعبده ونقدسه ونسبحه . والعالم حبيب الله
وصفيه وخليله ، فالعلم على رأس صاحبه كالنَّاج على رأس الملك وكالروح للجسد
وكالشمس للظلام ، وكلما تفقه يزداد ويصمو . قال تعالى : وما أنفقتم من شيء فهو
يخلفه وهو خير الرازقين . وكلما ازداد الإنسان علماً ازداد تواضعاً وبالعكس ذلك
ازداد ترفعاً والعلم والجهل لا يجتمعان فى قراب واحد . وقد استحال وجود ولى
جاهل لقوله صلى الله عليه وسلم (ما اتخذ الله من ولى جاهل ولو اتخذه لعابه)
صدق رسول الله . وأن أفضل ما يتجمل به الإنسان العلم فهو ذروة الشرف والكمال
وأُس الفلاح والسعادة به يرفع الله أقواماً ويضع آخرين والله در القائل :-
ليس الجبال بأثواب تزيها إن الجبال جمال العلم والأدب
وغیره :

ليس اليتيم الذى قد مات والده إن اليتيم يتيم العلم والأدب
وأن العالم والجاهل لا يستويان وشتان بين هذا وذاك وكفى ذلك دليلاً شهادة
الحق له حيث يقول : قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر
أولوا الألباب ، أى أرباب القلوب ألم تسمع قول الكافرين وهم فى السعير ينادون
ويصيحون ويقولون (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين) وإنما أنا قاسم والله عز وجل
يعطى (يقسم العلم عن الله لعباده المؤمنين على قدر استعدادهم والامداد على قدر
الاستعداد وما تنزله إلا بقدر معلوم وقال (ما من يوم تطلع الشمس فيه على ولم

أزدد علماً يقربني إلى الله لم أزدد من الله (إلا بعداً) وقال (العلم امام العمل والعمل تابع له) وقال (العلم بالله ينفعك معه قليل العمل وكثيره والجهل بالله لا ينفعك معه قليل العمل ولا كثيره) وقال (ألا وإن أعقل الناس من عرف ربه فأطاعه وعرف عدوه فعضاه) وقال (من عبد الله قبل معرفته ولو تقطعت أبدانه إرباً لم يزد من الله إلا بعداً) فانظر يا أخى حيث قدم النبي صلى الله عليه وسلم العلم بالله تعالى على جميع العمل وأجمع أهل الحق قاطبة على أن أول الواجبات العلم بالله تعالى وانفقوا على عدم صحة العبادة لمن لا يعرف معبوده وقال تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) وقال تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) وقال تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وقال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) وقال تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد) أعطاه العقل والفقه بسبب واحد وهو الشكر وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله في باب الشكر واعلم يا أخى بأنك تستصغر نفسك وفيك انطوى العالم الاكبر وجعلك الله أشرف ما فى الأكوان علويها وسفليها لتكون مرآة للظهور الكامل والتجلى الشامل ولذلك قال سبحانه وتعالى مخاطباً الملائكة (إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) لا احتجاجاً ولا اعتراضاً على الإرادة الالهية ولكن استفساراً للحقيقة وتساءلاً عن الحكمة حيث نظروا للإنسان من جهة ظاهره الجسمانى ولم يفتنوا لما انطوى عليه من السر الروحانى والنور الصمدانى لذلك قال لهم سبحانه وتعالى (إنى أعلم ما لا تعلمون ولكونهم لم يسألوا تعتاً ولا اعتراضاً أراد الله سبحانه وتعالى أن يبين لهم سبب

هذا الاختصاص والرحمة وسر ما تفضل به على آدم من النعمة وأخذ يوقظهم على الحكمة بالفعل بعد أن جاوبهم بالقول (وعلم آدم الاسماء كلها) وهي حقائق أعيان الموجودات ومعانيها من علوية وسفلية لجمعية آدم الارضية والسماوية ثم عرضهم على الملائكة الذين لا علم لهم الا بالمعاني النورانية والشئون المعنوية ولا قبل لهم بحقائق الكائنات المادية والموجودات الحية (أنبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم) قال سبحانه وتعالى للملائكة (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) ثم قال سبحانه وتعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) ومن البديهي أن الملائكة لم يسجدوا لهيكل آدم الطيني بل هم في الحقيقة سجدوا لله المتجلى على آدم بنوره وأسمائه وصفاته وكان السجود حيثئذ لإقرارا وإذعانا بفضل آدم واعترافا باضطغائه وخلافته وعن رب العزة ومن لم تكن في زيادة من دينه فهو في نقصان ومن كان في نقصان كان الموت خيرا له ومن عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم وروى عن الحكماء (يجلس علم أفضل من عبادة ستين سنة) وقال غيره (لأن أن تعلم مسألة من العلم أحب إلى من قيام ليلة وقال لقمان لابنه يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فان الله يحى قلوبهم بنور الحكمة كما يحى الارض بوابل السماء وروى عن بعض الصالحين أنه قال لو أن رجلا منع من الطعام والشراب ثلاثة أيام هلا يعيش قالوا لا قال كذلك القلب لو منع من العلم يموت قال تعالى (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) ومثل المؤمن والكافر كالحى والميت أعنى أن قلب المؤمن مملوء بالتجليات والعلوم الدينية والانوار القدسية أما الكافر فقلبه خراب قال تعالى (وبئر معطلة وقصر مشيد)

فالبر المعطلة قلب الكافر الذى عطل عن ذكر لاله إلا الله والقصر المشيد قلب
المؤمن مشيد بلا اله الا الله ونور العلم ومعاني العقائد من لاله الا الله وقالوا
في فضل العلم .

العلم يحيى قلوب الميتين كما تحيا البلاد اذا ما مسها المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجلي سواد الظلمة القمر
وغيره :

بانفس خوضى بحار العلم أو غوصى فالناس ما بين معوم ومخصوص
لا شيء فى هذه الدنيا يحيط به الا احاطة منقوص بمقوص

وقال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) قال ابن عطاء الا ليعرفون
وعن رب العزة ما خلقتكم لستكثر بكم من قلة ولا لاستانس بكم من وحشة
ولكن خلقتكم لتعبدونى طويلا وتسبحونى بكرة وأصيلا وقال (اذكروا الله
ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) وقال (اذكرونى أذكركم واشكروا
لى ولا تكفرون ومن ذكر الله فى نفسه ذكره الله فى نفسه ومن ذكره فى
ملا من الناس ذكره الله فى الملا الاعلى .

مالى أرى العلماء وطلاب العلم ييخلون على الناس بالعلم والله سبحانه وتعالى يقول
(إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب
أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا وأصلحوا ويبينوا فأولئك
أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من علم علماً
وكنمه على الناس أجزه الله بلجام من نار) وأنا أخشى الناس أن يقولوا بأنى أذم
فيكم ولكن أنا لا أذم فيكم ولا أقول الا حقاً ولا أخشى فى الحق لومة لا ثم قل
الحق ولو على نفسك . أتم عبدتم الدنيا ونسيتم الآخرة وأوتيتم العلم الظاهرى قال

تعالى (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) ولن تقبل منكم
لموعظة ولا تؤثر في قلوب السامعين ما دمنهم تقولون ما لا تفعلون وتهنون ولا
تنهون قال الله لعيسى عليه السلام عظم نفسك فان اتعظت فعظ الناس وكل كلام
برز من القلب يصل إلى القلب والله در القائل .

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الآية وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم (إذا صلحنا صلح الناس وإذا فسدنا فسد الناس . العلماء
والأمراء) وقال (مثل العالم الذي لا يعمل كمثل الشمعة تضئ للناس وتحرق نفسها
وقال عليه الصلاة والسلام (العلماء ورثة الأنبياء) ومن أرشد الناس إلى ما علم
بعد أن عمل به استحق فضل العلماء الذي ورد فيه قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم (فضل العالم على العابد كفضل القمر على النجوم) وقال الرسول (فضل العالم
على العابد كفضل أنا على سائر أصحابي) وقال تعالى (وعلامات وبالنجم هم يهتدون
فنجوم الأرض العلماء والأولياء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما جلس
قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة) وروى أن طالب
العلم يمشي على الأرض وهي تستغفر له والسماء تدعو له والحيتان تسبح له فيباهي
به الله الملائكة فيقول لهم انظروا إلى طالب العلم الشريف حاملاً كلامي وسائر
على نهج نبي فادعوا له فيستهلون بالدعاء له وقال الرسول صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكة
يمشون في الأرض فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل جلسوا معهم وصعدوا
إلى سماء الدنيا فيقول الله تعالى على أي حالة تركتم عبادي وهو أعلم بنا لا تخفى
عليه خافية فيقولون تركناهم على عبادتك فيقول لهم ماذا يريدون فيقولون يريدون
جنتك فيقول لهم هل رأوها فيقولون لو رأوها لكانا أشد شوقاً لها وماذا يستيعنون
فيقولون يخافون من نارك فيقولون لهم هل رأوها فيقولون لو رأوها كانوا أشد

خوفا منها فيقول لهم أشهدكم بأملائكتي بأنني قد غفرت لهم فيقوم ملك ويقول فلان ليس منهم كان يقضى حاجة فيقول الله سبحانه وتعالى : اقوم لا يشقى جليسم ، فأتهم الذين ربيتموني في بيوتكم وعلمتموني العلم فالمعلم مربى الروح والاب مربى الجسم وبينهما فرق كثير قال تعالى : في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ، اقرأ الآيتين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا من طريق الجنة ، وقآن عليه الصلاة والسلام : طلب العلم قريضة على كل مسلم ومسلمة ، ويكفي لعامة الناس أن يتعلموا منه بقدر المستطاع كالطهارة والوضوء وإلى غير ذلك من الأحكام الشرعية والله در القائل

العلم مبلغ قوم ذروة الشرف	وصاحب العلم محفوظ من التلف
يا صاحب العلم مهلا لاتدنسه	بالموبقات فما للعلم من خلفه
العلم يرفع بيتا لاعماد له	والجهل يهدم بيت العز والشرف

وقال تعالى : إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ، الآية وقال معاذ بن جبل : تعلموا العلم فإن تعلمه حنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربه ألا إن العلم سبيل أهل الجنة وهو المؤنس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والمعين على القراء والزين عند الاخلاء والسلاح على الأعداء يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة أئمة تقنى آثارها ويقتدى بأفعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنتها تمسحهم ويصلى عليهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوام الأرض وسباع البر والبحر والأنعام لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصباح

الابصار من الظلمة وقوة الأبدان من الضعف ويبلغ بالعبد منازل الأخيار
الابرار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة والتفكر فيه يعدل بالصيام ومذاكرته
تعدل بالقيام وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال من الحرام ويكفى ما قدمته
لك فى هذا المختصر والله أعلم .

﴿ الباب الثانى - آداب طالب العلم وما ينبغى له ﴾

أخى المؤمن : أعلم وفمنى الله وإياك أن أول ما يطلب منك عبادة الله
سبحانه وتعالى فانت خلقت لتكون عبدا مطيعا للواحد القهار قال تعالى : وما
خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن
الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، فعبادة الله ساعة بإخلاص خير لك من الدنيا وما
فيها وعليك بإقامة الصلاة فى أوقاتها قال تعالى : وأقم الصلاة لذكرى ، فالصلاة
فى الحقيقة هى التوحيد والفرق بين المسلم والكافر الصلاة وهى رأس مالك فإن
ضيعتها فقد خسرت خسرانا مديدا وهى رأس العبادات فرضها الله تعالى على حبيبه
محمد ليلة المعراج فى المكان الذى كان فيه قاب قوسين أو أدنى بعظم شأنها ولا
تهاون فى أداء الفرائض قال تعالى : إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ،
وتارك الصلاة يقتل خذاً بعد ثلاثة أيام إذا تركها كسلا وينبغى لك أن تحافظ على
صلاة الجماعة فى أول كل وقت بالمسجد لتكون ممن تناولهم هذه الآية قال تعالى
: وإنا يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ، الآية ولا تهجر مساجد الله بل
عمرها بالعبادة لأن الله تعالى يقول : رفعت بيوتكم وخفضت بيوتى وآلستم بيوتكم
واوحشتم بيوتى فلا أتم أخيار ولا أتم ابرار إنا مثلكم كمثل القبور المخصصة
ظاهرها مليح وباطنها قبيح ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة أفضل
من صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة ، وفى رواية بسبع وعشرين درجة وكان

السلف الصالح رضوان الله عليهم يعززون بعضهم ثلاثه أيام على قنات تكبيرة الاحرام وسبعة على قنات صلاة الجماعة ومنهم من كان يصوم ثلاثه أيام أو سبعة أيام وروى عنهم أن رجلاً منهم فاتته صلاة الجماعة فحزن حزناً شديداً فأقبل عليه أحد الأئمة في الله يعزیه على ذلك والطیور على أشكالها تقع والأولیاء عرائس ولا یرى العرائس إلا من كان محرماً لها فقال له لو مات لی ولد لأقبل على أربعة آلاف رجل یعزونی فی موت ولدی لأن مصیبة الدین عندهم هیئة وقال رسول الله صلی الله علیه وسلم من صلی أربعین یوماً لم تفته تکبیرة الاحرام کتب له برائة من النفاق وبرائة من النار . وینبغی لك ان تقرأ القرآن الکریم کل یوم عقب صلاة الفجر لان الله تعالى یقول : ان قرآن الفجر كان مشهودا ولك بكل حرف حسنة والحسنة بمشر ولا أقول الم حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والمیم حرف وقراءته شفاء لما فی الصدور وهدی ورحمة للمؤمنین كما ینبغی أن تعمل بها فیہ وتقرأه وانت على طهارة وتدبر معانیه لكي تکتب عند الله من التالین ویكون شفیعاً لك یوم القزع الا کبر وینبغی لك أن تتمثل بالاخلاق الفاضلة والصفات الحمیده كالکریم والحلم والعفو والصفح لان الکریم قریب من الله قریب من الناس بعیة عن النار وقال ابو بکر الخوارزمی الکریم من اکرم الاحرار والکبیر من حفر الدینار والله در القائل :

ذهاب لا یقال له ذهاب

ذهاب المال فی حمد واجر

وقیل اجود الناس من بذل المجهود ولم یأس على المفقود وإیماک والبخل فأن طیور السماء تحقر البخیل . شر البخیل کشر من یعبد الصنم وفی المثل الفرسی البخیل کالخزیر لا ینتفع به الا بعد موته وقال بعضهم مثل الاغیاء والبخلاء کمثل البغال والحییر تحمل الذهب والفضة وتعلف بالتبن والشعیر والله در القائل :

أرى الناس اخوان الكريم وما
ومن طلب الحوائج من بخيل
أرى بخيلا له في العالمين خليل
كن طلب العظام من الكلاب
ولأن حلم ساعة يرد سبعين آفة :

ليست إلا حلام في حال الرضى إنما إلا حلام في حال الغضب
وقال الامام على كرم الله وجهه أول عوض الحليم عن حمله أن الناس أنصاره والحلم
هو ضبط النفس عن هيجان الغضب وهو من أحسن الاخلاق وأشرفها لما فيه من
الراحة للإنسان ومن أمثال الانكليز الغضبان غضبه عليه لا له الغضب في الرجل
الصالح قصير المدة قبل أن تغضب أنظر هل من سبب للغضب الحاقة ألد الاعداء
والحزم خير الاصدقاء إن اغتظت من شيء فعد عشرة قبل التفوه بالكلام وإن
اغتظت جداً عد مئة والله در القائل :

يخاطبني السفيه بكل قبح فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة وأزيد حلما كعود زاده الاحراق طيبا

وقال تعالى ، ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، الآية وروى عن
الحسن البصري أن رجلا اغتابه فأرسل إليه طبعا من الرطب وقال أردت أن اكافئك
على هديتك وأرجو منك أن تمثل بالشجرة حيث قالت للشيلي كن مثلي يرموني
بالاحجار وأرميهم بالاثمار وينبغي لك أن تمثل بخلق خير الانام فقد كان خلقه القرآن
فبعد ما أدبه ربه بكلامه القديم قال له ، وإنك لعلى خلق عظيم ، كفاه نغرا بهذا
شهد له الحق بالخلق الحسن وأثنى عليه ما لم يثنى به على أحد من العالمين قال تعالى
« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » الآية وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم (إنكم لن تسعروا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق) وقال
الدين الخلق وسئل عن الشؤم قال سوء الخلق وقيل له فلانة تصوم النهار وتقوم

الليل ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال إنها سيئة وهي من أهل النار وقال لقمان لابنه يا بني إن الخلق شيء هين وجه طليق وكلام لين وينبغي لك أن تطيع والدك إلا في المعصية فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وتحترمهما وتحسن إليهما ولا تنضبهما فإن في غضبهما غضب الله ولو أن الله علم شيئاً أقل من أف ما قال الله في كتابه الكريم : فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ، ورضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين وينبغي لك أن تحسن النية في طلب العلم لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال : من تعلم العلم لأربع دخل النار ، لياهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أو يأخذ به من الأمراء المال والحرمة والجاه وقال سفيان الثوري : أول العلم الصمت والثاني الاستماع والثالث الحفظ والرابع العمل والخامس نشره ، وينبغي لك أن تجتمع بالناس في كل مجتمع وتجلس معهم بالادب والاحترام ولا تضحك كثيراً فإن كثرة الضحك تبت القلب وعظمهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين فإن قبلوا فقل لهم وإن أعرضوا فقد أدبت ما وجب عليك وأرجو منك أن لا تجلس على المقاهى وتسمع الملاحى وتشبه بالرعية ومن تشبه بقوم فهو منهم وكل من ينظر إليك ويعرفك يمتنك وأنت لا تدري ويحتقرك ويستهزئ بك ويقولون لا فرق بيننا وبينه فتسوء الأخلاق في الأمة بسبب جلوسك على المقاهى وسماعك الملاحى ومن سمع مزامير الدنيا لم يسمع مزامير الآخرة وقال عليه السلام : بعثت بإبطال المزامير ، ويقول لعن الله الزامر والمستمع ، وينبغي لك أن تستقيم في دروسك ومعاملتك للناس وتمسك بكتاب الله وسنة رسوله فتكون قدوة للناس فقد روى أن طالب العلم تحفه الملائكة فلا تؤاخذنى في هذه الأيام أن أقول تحفه الشياطين ومعنى ذلك أنه وقع في أيديهم كالكرة بحبه للدنيا

كرة طرحت بصوالجة فتلقفها رجل رجل

وأعنى بالكرة طالب العلم المطيع للشيطان والرجل الذى تلقف الكرة إبليس وجوده
فقال أراكم ضيعتم الأوقات فى اللهو واللعب والاضرابات وتدخلتم فى شئون السياسة
تحبون الفوضى وتهاونون بأمور الدين وتطلبون العلم لأجل الوظائف وتهتفون
بغير اسم الله الأعظم .

هل نسيتم جهنم التى أعدت للكافرين ولا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل
عن عمره فيما أفاء وعن شبابه فيما أمضاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه
فأرجو منكم أن تقوموا من الغفلة واستعدوا للرحيل ارفعوا الأعلام وهيا بنا إلى
المعالى نحو أبواب السماء :

واخلعوا الجسم وطهروا واهجروا ككون الفناء

ولقد رأيت مشايخنا وهم يدرسون لنا الفقه أو التوحيد أو الحديث أو أى مادة نسأم من
سماع العلم ونعطل على الشيخ ونقول له أخبرنا عن تاريخ حياتك فيسكت الشيخ عن
الدرس ويخوض بنا فى أحاديث الدنيا والسبب فى ذلك أن الشيطان يكره العلم
فيأتى طالبا يوسوس له ويقول له اسأل الشيخ فى غير ما هو فيه لكي يتعطل وفى
المثل شيطان الانس شر من شياطين الجن فاذا لم يقدر الشيطان على ضياع مجلس
العلم يأتى شيطاننا لإنسيا فيوحى إليه بإفساد مجلس العلم فيجب عليك أن تعرف عدوك
وتخالفه لانه قال لا غوينهم أجمعين ، فاذا مضت الحصّة تقول لم نفهم شيئا من الشيخ
وأنى أقول لكم اسمعوا وعوا واعملوا هل لو قدمتم للبائس يا قوتا ومرجانا هل يقبلون
عليه ويأكلونه لا . بل لو قدمتم تبا وماء يقبلون عليه ويتخذون منه وهكذا نحن وأنا
أولكم الشيخ يقدم إلينا العلم وهو أفضل من الياقوت والمرجان فلا نقبله ونخوض
معه حتى يخرج بنا إلى الدنيا ويقدم لنا لهوا ولعبا ولغوا فعند ذلك نقبله ونأكله

ونحفظه حفظاً جيداً فأرجو من الله أن يوفقنا لما يرضيه وينبغي لك أن تطهر قلبك من ثلاث وهي أصل المعاصي فالأول أن تطهر قلبك من الكبر لأنه قد أهلك من قبلك حينما أمر إبليس بالسجود لآدم وكان طأ ووس الملائكة فلم يسجد وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فعند ذلك طرد من رحمة الله وقال له الحق ، فأخرج منها فأنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين ، واعلم بأن الكبر من أخلاق الكفار والفراعنة والتواضع من أخلاق الأنبياء والصالحين لأن الله تعالى وصف الكفار بالكبر فقال ، إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ، وقال ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين . فبئس مشوى المتكبرين ، وقال إنه لا يحب المتكبرين وقد مدح الله عباده المؤمنين بالتواضع فقال (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، أعني متواضعين مدحهم بتواضعهم وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالتواضع فقال (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بمخلقه وكان خلقه التواضع فقال (وإنك لعلى خلق عظيم) الثاني أن تطهر قلبك من الحسد لأن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب فأول ما حسد قاييل بن آدم وقصته مشهورة وهي أن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرأ وأنثى وكييفية الزواج بأن يتزوج ذكر كل بطن من أنثى غير التي كانت معه في حمل واحد فصادف الأمر بأن هاييل تزوج أخت قاييل وكانت اخته جميلة عن أخت هاييل فحسده على هذه النعمة وأغواه الشيطان على قتله وقال بعض الحكماء إياكم والحسد فإن الحسد أول ذنب عصي الله تعالى به في السماء وأول ذنب عصي الله تعالى به في الأرض وكان أول ذنب عصي الله تعالى به في السماء لدى إبليس حين أبى أن يسجد لآدم وأما الذي في الأرض فهو قاييل بن آدم حين قتل أخاه هاييل حسداً وهو قوله تعالى

(واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق) اقرأ القصة وقال الأحف بن قيس : لراحة
 لحسود ولا وفاء لبخيل ولا صديق للول ولا مروءة لكذوب ولا رأى لخائن ولا
 سؤدد لسوء الخلق . الثالث أن تطهر قلبك من الحرص لأن الحرص كان أصله من
 آدم عليه السلام حين قيل له الجنة كلها مباحة لك إلا هذه الشجرة فحمله الحرص على
 أكلها حتى أخرج منها ومن أصبح حريصاً على الدنيا لم يزد من الله إلا بعداً وفي
 الدنيا إلا كدأ وفي الآخرة إلا جهداً . ومن أصبح حزيناً على الدنيا فكأنما أصبح
 ساخطاً على الله ومن طال أمسه بخس عمله وينبغي لك أن تتمسك بقول
 الرسول عليه الصلاة والسلام (حق المسلم على المسلم ستة أشياء) قيل ما هي
 يا رسول الله قال (إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح
 له وإذا عطس فحمد فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه وينبغي لك أن تصلح
 بين المسلمين قال تعالى (إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم
 ترحمون) وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال (ألا أنبئكم بصدقة يسيرة يحبها الله
 تعالى قالوا بلى يا رسول الله قال إصلاح ذات البين إذا تقاطعوا) وروى عن بعض
 الصحابة رضى الله عنهم أنه قال من عجز عن ثمانية فعليه بثمانية أخرى لينال فضلها
 أولها من أراد فضل صلاة الليل وهو نائم فلا يعصى بانهيار والثاني من أراد فضل
 صيام التطوع وهو مفطر فليحفظ لسانه من اللغو والثالث من أراد فضل العلماء
 فعليه بالتفكر والرابع من أراد فضل المجاهدين والغزاة وهو قاعد في بيته فليجاهد
 الشيطان والخامس من أراد فضل الصدقة وهو عاجز فليعلم الناس ماسمع من العلم
 والسادس من أراد فضل الحج وهو عاجز فليزِم الجمعة والسابع من أراد فضل
 العابدين فليصلح بين الناس ولا يوقع بينهم العداوة والبغضاء والثامن من أراد
 فضل الأبدال فليضع يده على صدره ويرضى لأخيه ما يرضى لنفسه وآخر ما أقدمه

أن تتقنى الله في السر والعلانية وتمتثل أوامره وتجتنب نواهيه فيعلمك الله علم مالا تعلم اتقوا الله ويعلمكم الله « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأرجو من الله أن يختم لجميع المسلمين بالإيمان آمين »

الباب الثالث — احترام المشايخ

أخي المؤمن اعلم وفقني الله وإياك أنه ينبغي للتعلم أو المرید أن يحترم شيخه أكثر من والديه ويوقره لأن الشيخ مربى الروح وأما الأب فمربى الجسم والفرق بينهما ظاهر ولذا قال بعضهم :

أغنى استاذى على فضل والدى وإن نالنى من والدى العز والشرف
فذاك مربى الروح والروح جوهر وذاك مربى الجسم والجسم كالصدف
وينبغى لك أن تهف عند حدك ولا تلج على الشيخ فى السؤال فأن فى ذلك سوء أدب من المرید والمتعلم ألم تسمع قصة موسى مع الخضر عليهما السلام فى قول الله تعالى « هل اتبعك على أن تعلمن بما علمت رشداً » قال الامام القشيري لما أراد صحبة الخضر « حفظ شرط الأدب » فاستأذن أولاً فى الصحبة ثم شرط عليه الخضر أن لا يعارضه فى شيء ولا يعترض عليه فى حكم ثم لما خالفه موسى عليه السلام تجاوز عنه فى المرة الاولى والثانية فلما صار إلى الثالثة والثالثة آخر حد التمة وأول حد الكثرة فقال هذا فراق بنى وبينك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قبيض الله تعالى له من يكرمه عند سنه » قال أبو على الدقاق رحمه الله تعالى « بدم كل فرقة المخالفة يعنى به أن من خالف شيخه لم يبق على طريقته وانقطعت العلاقة بينهما وإن جمعتهم البقعة فمن صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجب عليه التوبة على أن الشيخ قالوا عقوب الاستاذ

لا توبة عنها ، واعلم أن من دخل في صحبة المشايخ الصوفية ينبغي له أن يراعى آداب صحبتهم لأنهم جلساء الله تعالى قال في برهة المجالس قال صلى الله عليه وسلم : من أراد الجلوس مع الله فليجلس مع أهل التصوف قال الجنيد قدس سره : من جالس هذه الطائفة ثم لم يتأدب معهم سلب منه نور الإيمان وابتلاه الله تعالى بالمقت ومن آداب المريد والمتعلم أن لا يكثر التردد عند الشيخ وإذا دخل عليه لحاجة فلا يكثر الجلوس إلا بأذنه ومع ذلك يلزمه الأدب لأن التردد ينافي المحبة ويلزمه الاطلاع على أحوال الشيخ من قيامه وقعوده وأكله وشربه وعبادته وغير ذلك فلو اطلع عليه ورآه يعمل معصية وانكر عليه بقلبه فانه يحرم من بركاته ولذلك كان بعض المتقدمين قبل أن يحضر مجلس أستاذه يتصدق ويقول اللهم استر عيب شيخى ولا تذهب بركة علمه منى وينبغي لك أن تخص الشيخ بالنحية والاحترام والتعظيم وتجلس أمامه بأدب وخشوع واعلم بأن الشيخ كالمنظر للزرع فلا تقل لم أستفد شيئا منه فإن في ذلك سوء أدب فلو أخلصت له لرأيت العلوم اللدنية في قلبك وينبغي لك أن تلين القول لاستاذك فالعلماء ورثة الأنبياء فالعالم كالنبي والمعالج كالصالح قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وينبغي لك لو أن شيخك ضربك وشتمك فلا تحتقره وتؤذيه وتسبه فانه كوالدك يضربك لمصلحتك وأنت لا تشعر كالطفل الصغير يلعب في التراب فتتسخ ملابسه فوالده تنظفه وتلبسه ملابس نظيفة وهو لا يشعر اصغر عقله والشيخ كالطبيب يصف للدواء لكل داء وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ، والشيخ كالوالدين بل الشيخ أفضل لما عرفت

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين) نحن اتفقنا على أن الشيخ أفضل من الوالدين فعند ذلك نقول رضا الله في رضي الشيخ وسخط الله في سخط الشيخ وينبغي لك قبل أن تحضر الدرس أن تطهر قلبك من الحباثت ليصلح لقبول العلم وحفظه واستثماره فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله) ألا وهي القلب وقد أحسن القائل ، يطيب القلب للعلم كما تطيب الأرض الزراعة ، وينبغي لك أن تتواضع لمعلمك وتتأدب معه وإن أسأت إليه فاذهب إليه واستمطفه واعتذر إليه بجهلك لكي يرض عنك فقي رضاه رضا الباري وطاعته ولا تحتقر المدرس لصغر سنه أو عدم شهرته إلى غير ذلك وأرجو منك أن تتواضع للعلم وتقي الله فتقراه تدركه وقد قال الامام الشافعي رضي الله عنه

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدي لعاصى

وينبغي لك أن تنقاد لشيخك وتشاوره في أمورك قال تعالى (وشاورهم في الأمر) وتسمع لقوله كالمريض العاقل يفضل قول الطبيب الاصح الحاذق وهذا أولى وعليك أن تنظر إلى معلمك بعين الاحترام لأن النظر إلى العالم عبادة وتعتقد كمال أهليته ورجحاته على طبقة فانه اقرب إلى انتفاعه به وقال الربيع صاحب الشافعي رحمهما الله تعالى ، ما اجتراءت على ان أشرب الماء والشافعي ينظر إلى هبة له وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (من حق المعلم عليك أن تسلم على الناس عامة وتخصه دونهم بتحية وأن تجلس امامه ولا تثيرن عنده يديك ولا تغمرن بعينيك ولا تقولن قال فلان خلاف ما تقول ولا تغتاب عنده أحد ولا تشاور جليسك في مجلسه ولا تأخذ بشوبه إذا قام ولا تلح عليه إذا كسل وينبغي ان تتأدب بهذه الخصال التي أرشد إليها

على كرم الله وجهه وأن ترد الغيبة عن شيخك إن قدرت فإن تعذر عليك ردها ففارق ذلك المجلس وينبغي لك أن لا تدخل على الشيخ كامل الخصال متصفاً بالأخلاق الطاهرة والصفات الحميدة متظهراً مستعملاً للسواك لأن السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب وهو سنة عن النبي عليه الصلاة والسلام وتدرسه في الأزهري ولا يستعمله منا إلا القليل فلو عرفوا نوائد السواك لاشتروه بالقناطر المقنطرة من الذهب والفضة فارغ القلب من الأمور المشاغلة والا تدخل على الشيخ بغير استئذان وينبغي لك أن تتأدب مع أصحابك وتعددين يدي الشيخ قعدة المتعلمين لا قعدة المعلمين ولا ترفع صوتك من ذير حاجة إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ولا تضحك ولا تكثر الكلام من غير حاجة ولا تعبث بيديك أو بغيرها ولا تلتفت يمينا ولا شمالا من غير حاجة بل تكون متوجها للشيخ مصغيا إلى كلامه وينبغي لك أن تتحمل غضب الشيخ وسوء خلقه ولا يصدقك ذلك عن ملازمته واعتقاده كماله وتأول لأفعاله وأقواله التي ظاهرها الفساد تأويلات صحيحة فما يعجز عن ذلك الا قليل التوفيق وان جفاك الشيخ ابتداء أنت بالاعتذار للشيخ واظهر أن الذنب لك والعيب عليك فذلك أنفع لك في الدنيا والآخرة وأنتى لقلب الشيخ وقد قالوا : من لم يصبر على ذل التعلم بقي عمره في عمالة الجهالة ومن صبر عليه آل أمره الى عر الآخرة والدنيا ومنه الأثر المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما : ذللت طالبا فعززت مطلوبا وقد أحسن من قال :

من لم يذق طعم المذلة ساعة قطع الزمان بأسره مذلولاً

واعلم بأن وجود الأولياء والضعفاء والفقراء رحمة بالناس قال عليه الصلاة والسلام ، لولا شباب خشع وبهائم رتع وشيوخ ركع وأطفال رضع لصب عليكم العذاب صبا ، ونظم بعضهم ذلك فقال :

لولا عباد لاله ركع وصيه من اليتامى رضع

ومميلات في الفلات رتع . صب عليكم العذاب الاوجع
وفي الختام أرجو من الله أن يكرمنا ببركة مشايخنا ويختتم لجميع المسلمين بالآيمان آمين

الباب الرابع — الجهاد الأكبر

أخي المؤمن اعلم وفقني الله وإياك أن الجهاد الحسى فرض عين إذا دخل الكفار بلادنا وثواب الجهاد عظيم قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أرواما بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله) الآية أما الجهاد المسمى بالكلام فيه اعلم أن الأعداء قد دخلوا القلوب وانتصروا علينا ليفسدوها فانتبه لذلك يحكى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان في غزوة يحارب الكفار أمثالاً لأمر ربه حيث قال له : يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم ، الآية فبعد انتهاء الغزوة قال لأصحابه لقد رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس والشيطان والدنيا والهوى فبدأ بالكلام على النفس والهوى فقول اعلم أن نفسك التي بين جنبيك أعدى أعدائك فاحذر لها لأنها أسحر من هاروت وماروت فإذا التيس عليك أمران فاتبع أثقلهما على النفس فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً وكما أن النفس لها حظ في المعصية ظاهر جلي ولها في الطاعة أيضاً باطن خفي وما يخفى صعب علاجه فيجب عليك أن تشمر لها وتقاتلها وتخالفها وتذلها وتلجمها بلجام من حديد عسى أن تقادك وتعيير نفسك مطمئنة تأمرك بالمعروف وتنهك عن المنكر أما نفسك الأمارة بالسوء فلا تتبعها في كل ما تطلب منك ولو في الطاعة تصديقا للكلام رب العالمين إذ يقول إن النفس لأمارة بالسوء يحكى عن بعض الصالحين أنه كان في خلوته قدعته نفسه وقالت يا فلان قم وجاهد في سبيل الله أعلاء لكلمته فلم يجبه وأعرض عنها ولم يصدقها لأنه واثق بكلام رب العالمين وقال يارب أرنى

الحق حقا فجاء الحق وزهق الباطل السبب في طلبها منه أنها أرادت ان تستريح منه
لأنه مخالف لها في جميع الحالات وأن تظهر بالشجاعة والقوة ليقال عنها فلان شجاع
ولا يهاب الموت والنفس لها مكائد كثيرة فهي أقوى من الشيطان عليك لأن الشيطان
يفارقك في رمضان والنفس لا تفارقك فإذا طالبتك نفسك وقالت لك حج تفلأ
فأنت تجيب دعوتها وإن قيل لك تصدق في السر بذلك شق عليك لأن أمر الحج
يرى فللنفس فيه حظ والصدقة تطوى وتنسى وكذلك درسك العلم لغير الله فانك
تدرس الليل كله ونفسك راضية بذلك فإذا قيل لك صل بالليل ركعتين شق ذلك
عليك لأن الركعتين بينك وبين الله ليس فيهما للنفس حظ والقرأة والدرس للنفس
فيهما حظ مشاركة الناس فلاجل ذلك خفف عليها والعجب كل العجب من عبد
يقبل على صحة نفسه ولا يأتبه الشر إلا منها ويترك صحة الله ولا يأتبه الخير إلا منه
ومن علامات اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات
وأصل كل معصية وغفلة وسهو الرضا عن النفس وأصل كل طاعة وبقظة وعفة
عدم الرضا منك عنها ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه أحب إليك من عالم
يرضى عن نفسه فأى علم لعالم يرضى عن نفسه وأى جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أخوف ما أخاف على أمتي اتباع الهوى
وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسى الآخرة
رؤى بعضهم واقفا في الهواء قتل عن سبب ذلك فقال كنت أقذف الهوى تحت
قدمي فجمع لي فرقتي ثم اعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة قال تعالى (وأما من
خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى : فإن الجنة هي المأوى) وقال ابن عطاء
: النفس مجبولة على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب ، فالنفس تجري
بطبعها في ميدان المخالفة والعبد يردّها بجهد عن سوء المطالبة فن أطلق عنايتها فهو

شريكها في فسادها وقال الجنيد ، النفس الامارة بالسوء هي الداعية إلى الممالك
المعينة للأعداء المتبعة للهوى المتهمة بأصناف الأسواء . وقال أبو حفص قدس سره
« من لم يهتم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم يجرها إلى
مكروهاها في سائر أيامه كان مغروراً ومن نظر إليها باستحسان بشئ منها فقد أهلكها ،
وكيف لشيخ عاقل يرض عن نفسه والكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن
اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن يقول « وما أبرئ نفسي ، الآية وقد تقدمت
وأرجو من الله أن ينصرك على نفسك وهواك لتكون من الفائزين آمين .

(عداوة الشيطان ومعرفة مكايده) اعلم وفقى الله وإياك أن أصل الفساد وسفك
الدماء والمعاصي من إبليس سلطه الله على بنى آدم ليمتحن الناس به ويعرف الصادق
من الكاذب وهو عالم به قال تعالى (ألم احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم
لا يفتنون « ولقد فتنا الذين من قبلهم) الآية وإبليس في الأصل كان من العابدين
فرفعه الله على الملائكة وجعله طاووسا عليهم فلما خلق آدم من روح الله وخلقه
من طين أمر الملائكة بالسجود له سجود تعظيم لا بسجود عبادة وآدم كالقبة فالسجود
لله فسجدوا له إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين قال يا إبليس ما منعك أن تسجد
لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته
من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين قال رب فانظرني
إلى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم
أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لاملأن جهنم منك ومن
تبعك منهم أجمعين وقال (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا
من أصحاب السعير) وقال عدو الله (لا تعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم
من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين)

فعندما سمع الملائكة هذه المقالة حزنوا على بنى آدم فقال لهم بى ولم يتمكن منهما
 الفوقية والتحتية فاذا نظر إلى ودعا باخلاص أجبت دعوته وإذا سجد فأنا قريب
 منه فعند ذلك فرحوا . فاذا عرفت عدوك فينبغى لك أن تخالف هذا الملعون الذى
 لا يتفعلك بل يصدك عن ذكر الله وعن الصلاة وعن كل عمل يقربك إلى رضوان
 الله واستعذ بالله من شره لانه لا يفارقك إلا عند خروج الروح ويجاهد هو وأعوانه
 عند النزاع ويتصورون بصورة أهلك وأهلك أو احبابك وخلانك ومجالسك التى
 كنت تجلس فيها فى دار الدنيا ويقول لك أبوك يقول لك مت على دين النصارى
 وتقول لك أمك مت على دين اليهود فهو خير الا ديان أحدهما على الجانب الايمن
 والاخرى على الجانب الايسر فان سكنت مؤمنا وزهدت فى دار الدنيا تأتيك
 البشرى من الله فتنتطق بالتوحيد وان كنت عبدا للشيطان مت على أى دين كان وإذا
 اتبعت الشيطان وأمنيته فسيترأ منك يوم القيامة ويخطب خطبته المشهورة قيل
 ينصب له منبر فى جهنم ويقول لجنوده وأتباعه قول الله تعالى (وقال الشيطان لما
 قضى الامر إن الله وعدكم وعد الحق) الآية وأرجو منك أن تحارب هذا الشيطان
 الملعون الذى يراك ولا ينام عنك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشيطان
 يجرى فى ابن آدم مجرى الدم فضيقوا عليه بالصوم ، وقيل ان الشيطان يدخل فى
 صدور الجن كما يدخل فى صدور الانس فيوسوس فى صدورهم فاذا ذكر الله خنس
 وخرج من صدورهم وينبغى للعاقل أن يعرف صديقه من عدوه فيطيع صديقه ولا
 يتبع عدوه فانه يقال علامة الجاهل أربعة أشياء أحدهما الغضب من غير شيء
 والثانى اتباع النفس فى الباطل والثالث انفاق المال فى غير حق والرابع قلة معرفة
 صديقه من عدوه يعنى يختار طاعة الشيطان على طاعة الله فبئس البدل طاعة الشيطان
 على طاعة الله تعالى وقال تعالى (افتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس

للظالمين بدلا) وعلامة العاقل أربعة أشياء الحلم عن الجاهل ورد النفس عن الباطل وانفاق المال في حقه ومعرفة صديقه من عدوه وذكر عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى أنه قال أمر الله تعالى إبليس أن يأتي محمدا عليه الصلاة والسلام ويحبه عن كل ما يسأله فجاء على صورة شيخ ويده عكاز فقال له من أنت قال أنا إبليس فقال لماذا جئت قال إن الله أمرني أن آتيك واجيبك عن كل ما تسألني فقال النبي عليه الصلاة والسلام ياملعونكم أعداؤكم من أمتي قال خمسة عشر أولهم أنت والثاني امام عادل وغنى متواضع وتاجر صادق وعالم متخشع ومؤمن ناصح ومؤمن رحيم القلب وتائب ثابت على التوبة ومتورع عن الحرام ومؤمن يديم على الطهارة ومؤمن كثير الصدقة ومؤمن حسن الخلق مع الناس ومؤمن ينفع الناس وحامل القرآن يديم على تلاوته وقائم بالليل والناس نيام ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ومن رفقائكم من أمتي قال عشرة أولهم سلطان جائر وغنى متكبر وتاجر خائن وشارب الخمر والقتات وصاحب الزنا وآكل مال اليتيم والمتهاون بالصلاة لأنه قال (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) يعنى الصلاة ومانع الزكاة والذي يطيل الأمل فهو لاء أصحابي وإخواني وقال تعالى (يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) وقال في آية أخرى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) وقال ابن عطاء الله إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عن ناصيتك بيده جعله لك عدوا ليوحشك به اليه وحرك عليك النفس ليدوم أقبالك عليه وأرجو من الله أن ينصر المسلمين من إبليس آمين .

(العدو الرابع الدنيا) اعلم واقفى الله وإياك أن شهوات الدنيا وملذاتها في ستة أشياء : الأول العسل والشرب والطيب والحرير والنكاح والمسلاهي أما العسل فلو بحث عنه وجدته قذارة حشرة صغيرة وهي النحلة والماء استوى فيه الحيوان والإنسان في الشرب والخلقة . والطيب من فارة الغزال . والحرير من

دودة القز التي يألف منها الإنسان والنكاح ما أقدره ماء في ماء والملاهي حجاب
عن رؤية الله في الدنيا والآخرة هذه منافع الحياة الدنيا الفاني ما أهونها عند الله فلو
كانت وزن جناح بعوضة عند الله ما سقى الكافر منها شربة ماء وقال أزهدهم خلق الله
عليه الصلاة والسلام الدنيا جيفة قذرة وحلوة خضرة حلوة خضرة عند أهل
الغفلة وجيفة قذرة عند العقلاء حلوة خضرة عند النفوس جيفة قذرة عند أبصار
القلوب حلوة خضرة للتحذير وجيفة قذرة للتغيير فلا تتخذ عنكم بحلاوتها فان عاقبتها مرة
هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفشي
فلا يغرركم مني ابتسام فقول مضحك والفعل مبكى
قال تعالى : فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . وقال مالك بن
دينار (حب الدنيا رأس كل خطيئة) وقال عليه الصلاة والسلام (عشر في الدنيا
كأنك غريب أو عابر سبيل) صدق الرسول لأن هذه الدار ليست دار مقر بل
هي دار ممر فأصل مقرك الجنة قال الامام علي كرم الله وجهه :

جسمي معي غير أن الروح عندكم فالجسم في غربة والروح في وطن
هلي أيتها الأرواح إلى أوطان الكمال والسعادة والنقاء والهجرة إلى الكواكب
واخلي ثيابها واللبس لباس التقوى ذلك خير واسبق ربيع الشمال في ميادين الفضاء
وطلق الدنيا ثلاثاً لارجمة لها والله در القائل :

دع الدنيا وما فيها تجد عندنا نعيماً مقياً
فكل ما يشغلك عن ذكر الله فهو دنيا كالدينار والدراهم والنساء وكل شهوة
قانية . ما لي أراكم تعبدون الدنيا والدراهم والدينار والله خلقها لكم لتأكلوا منها
الرزق وتلبسوا منها الثياب وتشكروا بها النعم وتجعلوها عوناً لطاعة ربكم وتهربوا
بها من ناره بل أخذتم الدنيا فتقوئتم بها على المعاصي ورفعتم بيوتكم وخضعتم بيوت
ربكم فلا أتم أخبار ولا أتم أبرار . يا عباد الدنيا وأموالها إنما مثلكم كمثل القبور

المجسدة ظاهرها ملبح وباطنها قبيح فلو سألتني سائل وقال لي لماذا قلت يا عباد الدنيا فأقول كما قال ابن عطاء الله إذا أحببت شيئاً كنت له عبداً والله يحب أن تكون له عبداً ومن أصبح على الدنيا حريصاً لم يزد من الله إلا بعداً وفي الدنيا إلا كذا وفي الآخرة إلا جهداً . ومن أصبح حزيناً على الدنيا فكأنما أصبح ساخطاً على والله أوحى إلى الدنيا وقال لها استخدمي الحريص واخذي الزاهد فيك . قال تعالى ، وتحبون المال حباً جماً ، وستفارقونه عند الموت ، واعلم أن لك ثلاثة أخلاء أحدها المال تفارقه عند الموت . الثاني العيال والأهل والأحباب والخلان يتركوك عند القبر والثالث عملك لا يفارقك أبداً واصحب من يدخل معك فيسرك وتأنس به فالعاقب من اتبع أوامر الله واجتنب نواهيه ومثال الدنيا كأناء فيه حلوا فالذباب يتساقط فيه حباله فيغرق فالدنيا بحر والآخرة ساحل والمركب التمرى والناس سفر فالذباب الذي يتساقط في الاناء هم عباد الدنيا وفي بعض الأحيان أرى ذبابة خرجت من الاناء ولماذا فأقول هذه الذبابة تمائل الشخص الذي غرق في حب الدنيا ومكرها فخرج منها بتوفيق ربه وطاعتها وجاهد في سبيل الله واعلم بأن بني اسرائيل عبدوا الاصنام لحبهم في الدنيا والله در القائل .

لادار للمرء بعد الموت يسكنها	إلا التي كانت قبل الموت يبينها
فإن بناها بخير طاب مسكنه	وإن بناها بشر خاب بانيها
النفس ترغب في الدنيا وقد علمت	أن الزهادة فيها ترك ما فيها
فاغرس أصول التقى ما دمت مجتهداً	واعلم بأنك بعد الموت لاقبها

قال بعض الحكماء الزهد ثلاثة أشياء أولها معرفة الدنيا والترك لها والثاني خدمة المولى والأدب فيها والثالث الشوق إلى الآخرة ثم الطلب لها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي أربعة خصال من الشقاء جحود العين وقساوة القلب

وحب الدنيا وبعد الأمل وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الدنيا
 سجن المؤمن والقبر حصنه والجنة مأواه والدنيا جنة الكافر والقبر سجنه والنار مأواه
 أعطاك فمنعك من الآخرة منعك من الدنيا أعطاك من الآخرة وذكر عن لقمان
 الحكيم أنه قال لابنه يا بني إن الدنيا بحر عميق غرق فيها الأولون والآخرون
 فاجعل سفينتك فيها تقوى الله تعالى وروى عن الفضل بن عباس رحمه الله تعالى
 أنه قال بلغنا أنه يحج بالدنيا يوم القيامة تتبختر في زينتها وهيجتها فتقول يارب
 اجعلني لأحسن عبادك دارا فيقول الله عز وجل لأرضاك دارا لهم أنت لا شيء
 كوني هباء منثورا واعلم بأن الدنيا دار من لا دار له يفرح بها من لا عقل له ويحرص
 عليها من لا يقين له من أحب نعمة زائلة وشهوة فانية وحياة منقطة فقد ظلم نفسه
 ونسى آخرته وعصى ربه وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال (عجبا لكم تعملون
 للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها بغير
 عمل) وقال الحسن البصري رضي الله عنه (الدنيا كلها من أولها إلى آخرها كرجل
 نائم رأى في المنام ما يسره فقام فلم يجد شيئا فالدنيا تمر كمر السحاب وأنت لا تشعر
 فكل يوم يمر عليك ينقص من عمرك وأنت لا تدري وتفرح بكر الأيام . .
 يسر المرء ما ذهب الليالي وكانت ذهابين له ذهابا

وهن ترك الدنيا عاش عيشة سعيدة واستراح من تكباتها وقال أبو زيد البطائبي قدس
 سره زهدت ثلاثة أيام اليوم الأول الدنيا وما فيها اليوم الثاني الآخرة وما فيها
 اليوم الثالث قال لي الحق قف هنا لا زهد فينا وإلينا المنتهى . خل نفسك وتعال
 ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا رغم أنفه وهو لا يريد بها ومن طلب الدنيا خسر
 الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين واعلم بأن الآخرة خير وأبقى ورضوان
 من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم وإنما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباد المؤمنين

لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ولأنه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها وسميت دنيا لدنائها وخسستها يا ابن آدم اعلم أن الذي تبنيه للخراب وأن عمرك عارية وجسدك للتراب وما جمعتك للورثة فالأكل منه والنعم لغيرك والحساب عليك والعقاب والندم والصاحب لك في القبر العمل لحاسب نفسك قبل أن تحاسب والزم طاعتي واحذر معصيتي وارض بما يأتيك وكن من الشاكرين وأرجو من الله أن يخرج حب الدنيا من قلوب المسلمين ويمد علينا بمحبته آمين .

الباب الخامس — القناعة

أخي المؤمن اعلم وفتني الله وإياك أن القناعة شرف الإنسان في الدنيا ودرجته في الآخرة وبها يتجمل الإنسان لأنها ترفع صاحبها إلى أعلى مراتب الكمال وصاحبها مستريح البال ومدوح في كل مكان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (القناعة كنز لا يفنى) وقال (كن ورعاً تكن أعبد الناس وكن قنعاً تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً واحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب) وقال بشر الحافي ، القناعة ملك لا يسكن إلا في قلب كل مؤمن ، وقيل القناعة من الرضا بمنزلة الورع من الزهد هذا أول الرضا وهذا أول الزهد وقيل في معنى قوله تعالى (ليرزقنهم الله رزقاً حسناً) يعني القناعة وقيل العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسوية وأمر الآخرة بالحرص والتعجيل وأمر الدين بالعلم والاجتهاد وقيل وضع الله تعالى خمسة أشياء في خمسة مواضع ، العز في الطاعة والذل في المعصية والهيبة في قيام الليل والحكمة في البطن الخالي والغنى في القناعة ، وقيل لا مال عند من ترك القناعة ولا خير في المرء إذا لم يكن قنعاً وقال الامام علي (من رضى بما قسم له استراح قلبه وبدنه)

وكان محمد بن واسع يبل الخبز بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد والله در القائل
كنى من العيش ما قد ستر من عوز فقيه للحرقيان وغنيان
وذو القناعة راض عن معيشته وصاحب الحرص ان أثوى فغضبان
وقال ذو النون المصري من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه
وقيل لما نطق موسى السلام بذكر الطمع فقال لو شئت اتخذت عليه أجرا قال
الخضر له هذا فراق بيني وبينك وقيل في قوله تعالى فك رقبة أى فكها من ذل
الطمع وقيل في قوله تعالى هب لى ملكا لا يذبحى لاحد من بعدى ، أى مقاما فى
القناعة أنفرد به من أشكالى وأكون راضيا فيه بقضائك وقيل فى قوله تعالى
ولا عذبه عذابا شديداً ، يعنى لاسلبه القناعة ولا بتلينه بالطمع يعنى اسأل الله تعالى
أن يفعل به ذلك والقناعة من أوثق أركان العبادة وأقوى أصول الديانة المؤدية
إلى السعادة وهى ذخيرة لا تبلى مدى الايام وكفى لا يفنيه مر الدهور والأعوام
بل هى جنة عالية قطوفها دانية ومن طلب العز طلبه بالطاعة ومن طلب الغنى
طلبه بالقناعة قال عليه الصلاة والسلام : القناعة شرف المؤمن فى الدنيا ومنزلته
فى الآخرة ، وقال الشاعر :

أفادتني القناعة كل عز وهل عز أعز من القناعة
والطمع من أقبح الأخلاق واذم العلائق يدل على الأخلاق البهيمية
والفرائز الرديئة الدنية لا يزال صاحبه ابدا مذموما وبأقبح الصفات موسوما قال
عليه الصلاة والسلام (خيار المؤمنين القانع وشرارهم الطامع) وقال :
طمع الفتى ذل وعزة نفسه عز وكم شره يجر إلى شرك
وقيل الطمع يضيع كل شئ لان الطامع يود التهام كل شئ وقيل الطمع هو
عدم الاعتماد على النفس وضعف فى الإرادة .

حسبي بعلي إن تقع ما الذل إلا في الطمع
من راقب الله نزع عن سوء ما كان صنع
ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

وإذا لم تقع برزقك ألزم الله قلبك أملا لا ينقطع أبدا وشغلا لا تنفرغ منه أبدا
وقال تعالى (فمن لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يقع بعطائي
فليطلب ربا سوائي) وكل يوم يأتيك رزقك وأنت لا تحمد الله فلا بالقليل تقع
ولا بالكثير تشبع وما من يوم إلا ويأتيك من عندي رزق وما من ليلة إلا ويأتيني
من عندك ملك كريم بعمل قبيح تأكل رزقي وتعصيني . قال ابن عطاء الله : ماسقطت
أغصان إلا على بذر طمع ، وإذا أحببت شيئا كنت له عبدا والله يحب أن تكون له
عبدا فأنت أعرضت عن مولاك (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا)
الآية وطمعت في دنياك فالدنيا كامرأة عجوز ظاهرها مليح وباطنها قبيح فالغافلون
ينظرون إلى ظاهرها والعارفون يعرفون حقيقتها والانسان مادام متحليا بالقناعة
فاز فوزا عظيما وعاش عيشة هنيئة والله در القائل .

يعز غنى النفس إن قل ماله ويفنى غنى المال وهو ذليل

الباب السادس — مذمة البخل والبخل

اعلم وفقني الله وإياك أن البخل داء لا دواء له وقد قرن الله بالبخل بالكفر في
كتابه العزيز فقال تعالى : وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى ، وقال عليه الصلاة
والسلام : البخل لا يدخل الجنة ، وكانت العرب تتعابر بالبخل والجبن وقالت في
أمثالها البخل يهدم مباني الشرف ويسوق النفس إلى التلف ومن ضيق ضيق عليه
شحيح غنى أفقر من فقير سخي اتق الشح فانه أدنس شعار وأوحش دنار وقال الشاعر

انفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت
 على العباد من الرحمن أرزاق
 لا ينفع البخل مع دنيا مولية
 ولا يضر مع الاقبال انفاق
 وكان بعض العلماء لا يقبل شهادة البخيل ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 رجلا معلقا بأستار الكعبة يقول يا رب اغفر لي يا رب اغفر لي وما أراك تفعل فقال
 ولم تراه لا يفعل ما شأنك قال إني رجل صوام قوام كثير المال إلا أني إذا نزل ضيف
 أو أتاني سائل فكانما تشتعل في قلبي شعلة نار فقال عليه الصلاة والسلام تنح عني
 لا تحرقني بنارك فوالذي أرسلني بالهدى لو صمت ألف عام وصليت ألف عام بين
 الركن والمقام وجرت من دموعك الأنهار ثم مت وأنت لثيم أكبك الله في النار
 واللوم من الكفر والكفر في النار والسخاء من الإيمان والإيمان في الجنة وقيل
 النظر إلى البخيل يقسى القلب وقيل جرد الرجل يحبه إلى أعداءه وبخله يبعثه إلى
 أوليائه وفي الخبر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال للرجل الذي سأله عن ترك
 دينار قال ترك كية قال ترك دينارين قال كيتين وهذا من المال الذي ترك حقه الراتب
 فأما إذا أدى حق الله فليس ذلك بكى وسئل بعض العلماء لماذا أمر بكى ثلاثة مواضع
 فقال تعالى (يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم)
 قال لأنهم لما قبيل لهم لم يخلتم بالزكاة قالوا لأنها وجعنا فنحن بها ليتبق لنا ماء الوجه
 قال الله تعالى فتكوى بها جباههم كي تذهب بشاشتها وماؤها في الوقت ثم قال
 وجنوبهم لقولهم حياة القلب من المال فمن لا مال له لا قلب له وظهورهم لقولهم
 المال للرجل ظهر فمن لا مال له لا ظهر له فيقال للبخيل هذا مالك الذي كنت تبخل
 به فيكون لك كيات وقال عليه الصلاة والسلام لما خلق الله تعالى الإيمان قال الهى
 قونى فقواه بحسن الخلق ثم خلق الكفر قال الهى قونى فقواه بالبخل ثم خلق الجنة
 ثم قال يا ملائكتى السخى قريب منى قريب من ملائكتى قريب من جنتى بعيد عن النار
 وأن بنى اسرائيل سألوا موسى عليه السلام فقالوا سل ربك منى يرضى عنا ومتى

يسخط علينا فأوحى الله تعالى إليه إنى إذا أنزلت الغيث فى زمانه وأمرت عليكم خياركم وجعلت مالكم عند سمحائكم فانى عنكم راض وإذا أنزلت الغيث فى غير أوانه وأمرت عليكم شراركم وجعلت أموالكم عند بخلائكم فأنا عليكم ساخط . فالبخيل حريص على الدنيا والدنيا كالخية لين لمسها قاتل سمها وهى كالمائحه كل يوم تروح فى دار وهى كالمرأة الفاجرة تغمز الناس بعينها وترى أنها تقضى حوائجهم ثم تحملهم إلى بيتها فتهلكهم . يحكى عن رجل بخيل أنه كان إذا وقع يده درهم أو دينار نقره بيده ثم وضعه على كفه ويقول سبحان الله هذا أجل الأشياء إلى الله فيه شفاء ووفاء يانور عيني وثمرة فؤادى كم مدينة دخلتها وكم يد وقعت فيها فلم يعرفوا قدرك فذاك أبى وأمى الآن استقرت بك الدار واطمان بك المزار ونجوت من خطر الأسفار وأيدى التجار لك البشارة فى كيس ملع وصندوق منقش وكان يقبله ويضعه فى الصندوق (حكاية) اجتمع ثلاثة من البخلاء فقالوا تعالوا ننظر أينما أبخل فقال أحدهم أنا أبخلكم لأنى أبخل بمالى على الناس قال الآخر بل أنا أبخل لأنى أبخل بمال الناس على الناس وقال الثالث أنا أبخل لأنى أبخل بمال الناس على نفسى فأجمعوا على أنه أبخل (حكاية) شيخ بخيل غلب عليه الدم فأراد أن يحتجم فضايق قلبه فى اعطاء دائق فكل يوم يأتى الحمام ويرى الناس يفتصدون ويتعسر فرأى يوما على ظهر رجل قارورتين فقال بكم تصنع هذه قال بدائق ونصف فأخرج يده وقال اضرب واحدا على هذا الحساب اما بأسليقا ولما فيقالا ؟ لا أقل من واحد ولا أكثر فعلم أنه بخيل فقطع عرقه فانتفخ يده ومات فصار مثلامانع من الحجاب أعطى الطبيب (حكاية) مجوس بهراة كان شقيا فقال فى جميع عمرى لم أكل شاة فقام رجل مسلم ونقب سطحه وأخذ له أربعة آلاف دينار ونوى فى نفسه إن لم يفضحنى الله فى هذا الأمر أتوب وأرجع فلم يصل اليه مكروه فتاب وأنفق ماله فى سبيل الله تعالى

فقيل إنك لا تؤجر عليه فقال عون الاسلام أحب إلى من عون الكفر وسبب توبة حبيب العجمي انه كان بخيلا فطبخ قدرا فجاء سائل فنهزه فصار القدر كله دما عيلا فتاب ولم يرد سائلا (حكاية) كان رجل بخيل ففرق في الماء فأدركه الملاح فقال كم تعطيني حتى أنجحك قال قيراطا وسدس حبة فقال بل درهما قال لا أعطيك إلا قيراطا وحبة دعني أغرق فقال الملاح يا بغيض الله هذا وقت المصارفة فأرسله ففرق (حكاية) أضاف رجل رجلا بخيلا فأكل أكلا لما فأصابه إمساك شديد فقال الطبيب لا بد من القيء قال دعني أموت ولا أتناها إلا كل الشهي فلم يتقيأ حتى مات وقال الامام على كرم الله وجهه البخيل يسخو بعرضه بمقدار ما ينخل به من ماله أبخل الناس بماله اجودهم بعرضه الشح اضر على الانسان من الفقر لأن الفقير إذا وجد اتسع والشحيح لا يتسع وإن وجد وقال مصلح الدين سعدى : لو ملك البخيل نصف الدنيا لم يذكره واحد بخير . مهما كثرت أموال البخيل لا يزال عرضه للضييق كالوكان فقيرا . الكريم يتمتع بلذة ماله والبخيل يتألم لما عنده من المال (والله اعلم)

الباب السابع — تنبيه الغافلين

أحى المؤمن اعلم وفقني الله وإياك ان الانسان لني غفلة عما خلق له اتمد خلق ليوم عظيم تشيب الولدان فيه وياليت الانسان لم يخلق وياليت خلق وعمل بما علم وقال عليه الصلاة والسلام . الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ، صدق رسول الله تلعب وتلهو وتلغو وتضحك وتنسى ذكر هازم اللذات فلو تعلم شدة الموت وسكراته ما اكلت ولا شربت ولا يهنا لك عيش بل كنت تبكي على نفسك ليلا ونهارا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وفي الخبر ان المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال على الآخرة نزلت عليه ملائكة

من السماء يبيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ومعهم كفن من كفن الجنة وحنوط
من حنوط الجنة فيجلسون عنده مد البصر ثم يحيى ملك الموت حتى يجلس عند رأسه
فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة الله ورضوانه قال عليه الصلاة والسلام
فتخرج وتسيل كما تسيل القطرة من السماء فلا يدعونها في كفه طرفة عين حتى يأخذوها
في ذلك الكفن والحنوط فيخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض
فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملائكة الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون
روح فلان بن فلان بأحسن أسمائه ثم ينتهون بها إلى سماء الدنيا فيستفتحون لها
فيفتح لهم فيستقبلها ويشيعها من كل اسماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهوا
بها إلى السماء السابعة فيقول الله تعالى اكتبوا كتابه في عليين وأعيدوه إلى الأرض
منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فتعاد الروح في جسده ويأتيه
ملكأن فيقولان له من ربك ومن نبيك وما دينك وما إمامك وما إخوانك وما
قبلتك فيقول المؤمن ربي الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم وديني الإسلام وإمامي
القرآن وإخواني المسلمون وقبلتي الكعبة فيقولان له انظر إلى مقعدك من
النار قد أبدلك الله به مقعداً في الجنة وينادي مناد صدق عبدي فافرشوا له فراشا
من الجنة وألبسوه لباساً من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة يأتيه من ريحها وطيبها
ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح فيقول أبشر
بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده به فيقول له من أنت فيقول أنا عمك
الصالح فيقول يا رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي وخديج قال النبي عليه الصلاة
والسلام وإن كان من أهل الشقاوة فإذا حضره الموت نزل عليه ملائكة من
السماء سود الوجوه ومعهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يحيى ملك الموت حتى
يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط الله وغضبه فتفرق

في أعضائه كلها فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيقطع منها العروق والعصب فيأخذها وإذا أخذها لم يدعوها في يده طريقة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها ريح كأنهن جيفة فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملا من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون روح فلان بن فلان بأقبح أسمائه حتى ينتهوا بها إلى سماء الدنيا فيستفتحون ليلاً يفتح لها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) الآية ثم يقول الله تعالى اكتبوا كتابه في سجين ثم تطرح روحه طرحة ثم قرأ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ، يعني ترد فتعاد الروح في جسده فيأتيه منكرو تكبير بأهول ما يكون من الأهوال وأصواتهم كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف وهما أسودان أزرقا العينين يخرقان الأرض بأنيابهما فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول لا أدري فينادى مناد من جانب القبر اضرباه فيضربانه بمقعع من حديد لو اجتمع الخلاق كلهم يلووه لا يقدرين ويشتعل في قبره نار فيضمه حتى تختلف أضلاعه ثم يأتيه رجل قبيح الوجه منن الرياح فيقول جزاك الله شراً فوالله ما عملت بل كنت بطيئاً عن الطاعات وسريعاً في معصية الله فيقول من أنت ما رأيت في الدنيا أسوأ منك فيقول أنا عمك الخبيث ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مضعده في النار فلا يزال كذلك حتى تقوم الساعة وينبئ أن تعرف ملكاً تسمى رومان وهو ملك يأتي المبت عند انصراف الناس من الدفن ويتول له اكتب ما كنت تعمل في دار الدنيا فيقول العبد ليس معي دواء ولا قرطاس ولا قلم فيقول هيات هيات قلمك إصبعك ومدادك وريقك والقرطاس من كفك فيقطع له من كفنه قطعة فيكتب فيها جميع ما صدر منه في دار الدنيا سواء كان كاتباً أم لا ثم يطويها الملك ويعلقها له في عنقه إلى يوم القيامة

لقوله تعالى (وكل انسان أئزمناه طائرہ فی عنقه) الآية واعلم بأن إسرائفیل علیه السلام موکل بالنفخ فی الصور والصور قرن من نور فیه ثقوب علی عدد أرواح من یموت فینفخ فیه نفختین النفخة الأولى تنفی فیها جمیع الخلائق إلا المستثنیات السبع . وهی العرش والكرسى واللوح والقلم والجنة والنار والأرواح . والنفخة الثانية تبعث فیها جمیع الخلائق وما بین النفختین أربع نعاما . واعلم بأن الخلائق إذا نشروا من القبور كانوا هم جراد منتشریعون من قبورهم إلى ارض المحشر بالشام یوم الجمعة یرجعون منها سراعاً إلى ربهم ینسلون یعنی یرجعون من قبورهم حفاة عراة ثم یقفون موقفاً واحداً مقدار سبعین عاما لا ینظر الله إلیهم ولا یقضی بینهم فیکون حتی تنقطع الدموع ثم یکون دما ویرفعون حتی یبلغ ذلک منهم بأن یلجمهم ویبلغ الأذقان ثم یدعون إلى المحشر وذلک قوله عروج ملهطین إلى الداع أى ناظرین قاصدین مسرعین فاذا اجتمع الخلائق کلهم الجن والانس و غیرهم فبیناهم وقوف إذ سمعوا حساً من السماء شدیداً فها لهم ذلک فتشق السماء وتنزل ملائکة السماء کثل من فی الارض فیاخذوا مصافهم فیقول لهم الناس أفیکم ربنا یعنی أفیکم أمر ربنا بالحساب قالوا لا ثم ینزل أهل السماء الثانية فیتقومون صفاً خلفهم إلى غیر ذلک حتی تنزل ملائکة السموات السبع علی قدر التضعیف ویقومون حول أهل الدنیا لقوله تعالى (وجاء ربک والملك صفاً صفاً) فالواجب علیک أن تعتقد أن البعث حق والفشر حق والحشر حق والحساب حق والوقوف حق والوزن حق وإعطاء الكتاب حق والحوض حق والصراط حق ینصب علی متن جهنم وهو أحد من السیف وأرق من الشعر وأظلم من اللیل ودخول أهل الجنة فی الجنة حق ودخول أهل النار فی النار حق ورؤية المؤمنین لربهم حق وحجب الکفار عن ربهم حق وجمیع أهوال الآخرة حق وسیبلغ العرق فی هذا الیوم المشئوم فی الارض سبعین ذراعاً كما جاء

في الخبر عن سيد البشر والله در القائل :

وتؤمن أن الموت حق وأتسا
وأن عذاب القبر حق وأنه
ومنكره ثم النكير بصحة
وميزان ربى والصراط حقيقة
وأن حساب الخلق حق وأنه
وحوض رسول الله حق أعده
ويشرب منه المؤمنون وكل من

سنبعث حقاً بعد موتنا غدا
على الجسم والروح الذى فيه الحدا
هما يسألان العبد فى القبر مقعدا
وجنته والنار لم يخلقها سدى
كما أخبر القرآن عنه وشددا
له الله دون الرسل ماء مبردا
سقى منه كاساً لم يجد بعده صدى

وفى الختام أرجو من الله أن يلطف بجميع المسلمين فى هذا اليوم (آمين)

الباب الثامن — الشكر

أخى المؤمن اعلم وفقنى الله وإياك أن الشكر هو تقييد النفس بالأوامر والنواهي
وصرف النعم فيما يرضى الله سبحانه وتعالى وبيع النفس الحق سبحانه وتعالى لأنه
يقول فى كتابه الكريم إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم فبمهم فبهم وأن يراك الله
فى طاعته ولا يراك فى معصيته قال تعالى : إن شكرتم لازيدنكم ، ومن أعجب ما
يروى عن عائشة رضى الله عنها أن أحد الصحابة سألها وقال لها أخبرينا بأعجب ما
رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأى شأنه لم يكن عجبا أنه
أتانى فى ليلة فدخل معى فى فراشى أو قالت فى لحافى حتى مس جلده ثم قال يا بنت
أبى بكر ذرىنى أتعبد لربى قالت قلت لى أحب قريك فأذنت له فقام إلى قربة من
ماء فتوضأ وأكثر صب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم
ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة

قلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال
أفلا أكون عبداً شكوراً ولم لا أفعل وقد أنزل على إن في خلق السموات والأرض
آية وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع
وعلى هذا القول يوصف الحق سبحانه وتعالى بأنه شكور توسعاً ومعناه أنه يجازى
العباد على الشكر فسمى جزاء الشكر شكراً كما قال : وجزاء سيئة سيئة مثلها ، وقيل
شكره إعطاؤه الكثير من الثواب على العمل اليسير والشكر ينقسم إلى شكر باللسان
وهو اعتراف بالنعمة بنعت الاستكانة وشكر بالبدن والجوارح وهو اتصاف بالوفاء
والخدمة وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهود بأدامة حفظ الحرمه وقال
أبو بكر الوراق : شكر النعمة مشاهدة المنه وحفظ الحرمه ، وقال الجنيده الشكر أن
لا ترى نفسك أهلاً للنعمة ، وقيل شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص
على ما يرد على قلوبهم من المعاني وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال عجبت
لأمر المؤمن أمره كله خير له إن أصابه خير فشكر كان خيراً له وإن أصابه شر فصبر
فكان خيراً له وعن مكحول رحمه الله تعالى أن سئل عن قوله تعالى : ثم لتسئلن
يومئذ عن النعيم ، قال بارد الشراب وظل المساكن وشعب البطون واعتدال الخلق
ولذة النوم وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أربع من أعطين فقد أعطى خيرى الدنيا
والآخرة لسان ذاكر وقلب شاكر وبدن صابر وزوجة مؤمنة صالحة ، وقال موسى
عليه السلام لربه (يا رب كيف استطاع آدم أن يودى شكر ما صنعت إله خلقتك
بيدك وتفتخت فيه من روحك وأسكتته جنتك وأمرت الملائكة فسجدوا له قال
يا موسى علم آدم أن ذلك منى فحمدنى عليه فكان ذلك شكراً لما صنعت إله) وعن
محمد بن كعب أنه قال (الشكر العمل) لقوله تعالى (اعملوا آل داود شكراً وقليل من
عبادى الشكور) يعنى اعملوا عملاً تؤدون به شكراً وقليل تمام الشكر فى ثلاثه اشياء

أولها إذا أعطاك الله شيئاً فتتظر من الذى أعطاك فتحمده عليه والثانى أن ترضى بما أعطاك والثالث ما دام منفعة ذلك الشيء معك وقوته فى جسدك لا تعصه ولتقمان اختص بالحكمة من الله لشكره إياه قال تبارك وتعالى (ولقد أتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله) الآية وقال ابن عطاء الله ، من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعمارتها ، وعلى ذلك يكون الشكر بالبدن والأعضاء السبعة وكل نعمة ساقها الله لك فينبغى لك أن تشكر الحق على نعمه فبدأ بعون الله على العضو الأول من الأعضاء السبعة (وهو العين) أخص المؤمنين بنبغى لك أن تحفظ جميع بدنك من المعاصى وخصوصاً الأعضاء السبعة فإن جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وهى العين والأذن واللسان والبطن واليد والفرج والرجل لأنك إذا بعثت من القبر ووقفت للحساب أمام الحق وعلى مشهد الخلائق وكذبت عن أفعالك القبيحة تشهد عليك أعضاؤك قال تعالى (اليوم نحتم على أفواههم ونكلمنا أيديهم ونشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) وقال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وقالوا للجلود هم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء) فينبغى لك أن تصونها عن المحرمات فاحفظها عن ثلاث الأولى غض البصر عن النساء الأجانب غير المحارم بغير شهوة ولا يحرّم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملأ عينه من الحرام ملأ الله عينه من جمر جهنم ، والله در القائل :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

وقال عليه الصلاة والسلام النظرة سهم من سهام إبليس والنظر زنى كاجاء فى الخبر عن سيد البشر . الثانية لا تنظر بها إلى مسلم بعين الاحتقار عسى أن يكون خيراً منك الثالثة لا تطلع بها على عيب مسلم ولا تنظر بها إلى فرجك لأن النظر يورث اللطم

كما جاء في الحديث الشريف واعلم أن العين خلقت لك لكي تجعلها فيما يرضى الله كقراءة القرآن وتفسيره وأحاديث الرسول والفقه والنظر بها إلى عجائب ملكوت السموات والأرض وتعتبر بما فيها من الآيات . أباح لك أن تنظر إلى المكونات قال تعالى (قل انظروا ماذا في السموات) فتح لك باب الأفهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الأجرام وتفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة من غير تفكير وتهتدى بها في الظلمات وتستعين بها في الحاجات وتبكي بها من خشية الله فإذا فعلت ذلك فقد شكرت الله في نعمته وندع هذا بعون الله إلى العضو الثاني (وهو الأذن)
أخي المؤمن ينبغي لك أن تعرف أن الأذن نعمة من الله عليك (وما بكم من نعمة فمن الله) وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفور) فيجب عليك أن تشكر الله في هذه النعمة فشكرها من وجهين الأول أن تصونها عن المحرمات كسماع الغيبة لأن السامع شريك القائل كما جاء في الخبر عن سيد البشر وقد قبل :

وسمعتك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به

فإنك عند سماع القبيح شريك لقائله فانتبه

وسماع المزامير لأن من سمع مزامير الدنيا لم يسمع مزامير الآخرة كما قدمت لك في باب آداب الطالب والمريد وسماع البدعة أو الفحش أو الخوض في الباطل . الوجه الثاني أن تجعلها فيما يرضى الله كسماع القرآن وسماع العلم وأحاديث الرسول وكلام الأولياء وتتوصل باستفادة العلم بها إلى الملك المقيم والنعيم الدائم فإذا اتبعت هذا فقد أدبت شكر الله في هذه النعمة وندع هذا بعون الله إلى العضو الثالث وهو أشد من الجميع (وهو اللسان) أخي المؤمن احذر لسانك فإنه أسد إذا أطلقته هلكك وأكلك فينبغي لك أن تشكر الله في هذه النعمة فشكرها على نوعين الأول أن تصونها عن المحرمات كالغيبة لأن الغيبة أشد من ثلاثين زنية وأشد من شرب الخمر

ومن الزنى كما جاء في الحديث الشريف وكفى المغتاب أن الله وصفه في كتابه الكريم
 بآكل الميتة قال تعالى (ولا يغتب بعضهم بعضاً) أحكم أن يأكل لحم أخيه
 ميتاً فكرهتموه (الآية ومن ترك الغيبة ظهرت محبته وتوفرت حسنة الغيبة لها
 لذة في الدنيا وعلى صاحبها حسرة في الآخرة وهي ذكر أخاك بما يكره سواء كان في
 ماله وثوبه أو في كل ما يتعلق به والغيبة منتشرة بين الناس كانتشار الشرايين في الجسم
 وبعضهم يستند إلى حديث لا غيبة في فاسق غلطاً من وجهين الأول لم يتحقق عصيانه
 والثاني تزكية النفس على غيره والله يقول (ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى)
 ولودخل نور الإيمان في قلبه لنطق لسانه بذكر الله وغرق في بحر المحبة واستوحش
 من الخلق وأنس بربه ولم يذكر أحداً بسوء لأن الله قادر على أن يتوب عليه
 ويبدلك مكانه ومعنى الحديث (لا غيبة جائزة في فاسق) والنبذة وهي نقل كلام
 الناس بعضهم على بعض على وجه الإفساد بينهم ولا يدخل الجنة تمام . والكذب قال تعالى
 (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) الآية وقال فنجعل لعنة
 الله على الكاذبين وخلف الوعد قال عليه الصلاة والسلام . ثلاث من كن فيه فهو
 منافق وإن صام وصلى إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان وتزكية
 النفس ، قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى والمرء والجدال ومناقشة
 الناس في الكلام فذلك فيه إيذاء للمخاطب وتحميل له وطعن فيه وفيه ثناء على النفس
 وتزكية لها بمزيد الفطنة والعلم قال عليه الصلاة والسلام . من ترك المرء وهو محق
 بنى الله له بيتاً في أعلا الجنة والدعاء على الخلق إذا ظلمك أحد فوض أمرك إلى الله
 وأدع له بأن يتوب الله عليه وسامحه والمزاح والسخرية والاستهزاء بالناس وقذف
 المحصنات الغافلات النوع الثاني أن تجعل لسانك فيما يرضى الله كقراءة القرآن
 فإن لك بكل حرف حسنة والحسنة بعشر ومذاكرة العلم وأحاديث الرسول وليكن

لسانك رطباً بذكر الله وقال عليه الصلاة والسلام ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يصمت وقال ، من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، وقال ، أكثروا ذكر الله حتى يقولوا بجنون ، وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يضع الحجر في فيه لئلا يذكر الله من الكلام لغير ضرورة ويقول هذا الذي أوردني الموارد كلها فإذا استقمت على هذه الشروط فقد أدبت شكر الله في هذه النعمة وندع هذا يعون الله إلى العضو الرابع ، وهو البطن ، أخى المؤمن ينبغي لك أنت تعرف أن البطن نعمة كبرى من الله عليك فلولاهما ما عشت فيجب عليك أن تشكر مولاك على هذه النعمة فشكرها على قسمين القسم الأول أن تصونها عن أكل المحرمات والمشابهات وأكل أموال اليتامى قال تعالى ، وإن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كل شيء نبت من حرام فالنار أولى به ومن لم يبال من أين يأكل لم يبال الله من أى باب يدخله النار ومن أكل الحلال صفا دينه ومن أكل الحرام خسر دينه وتقص يقينه ويخاف عليه من سوء الخاتمة ومن شرب الخمر يحلده ثمانين جلدة وهى رأس الكبائر وكل مسكر خمر وكل خمر حرام وما أسكر كثيره فقليله حرام قالويل للذى يشرب الخمر فاحذرهما واجتنبها يحكى أن رجلاً من الصالحين خرج ذات يوم فقابله امرأة سوء وقالت أريد منك حاجة فلما دخل منزلها أغلقت الأبواب وقالت له اقتل هذا الغلام أو ازننى أو اشرب هذا الخمر فعزم على شرب الخمر لأنها أخف من الأول والثاني في اعتقاده فشربها فسكر ففعل الثلاثة ومن شرب الخشيش لا يحل بل يحرم عليه ، ومن شرب الدخان فهو من المبذرين ، وإن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، الآية فالدخان يسود القلب وينشأ عنه امراض خطيرة وستسأل عن الصغيرة والكبيرة أمام جبار السموات والأرض (ولا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه

أجرأ عظيما) (ولا يظلم ربك أحدا) (لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب)
 (وما ربك بظلام للعبيد) (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
 شرا يره) القسم الثاني أن تأكل من الحلال ويكون الأكل لله واللبس لله والنوم
 لله وكل شيء تفعله لله ومعنى ذلك أنه في أثناء الأكل أو اللبس يكون متذكرا التقوى
 به على العبادة وطلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة قال تعالى (فانتشروا في
 الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) (إياك أن تقول
 الله يرزقني من غير سعي فانه سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ولكن قال في كتابه
 الكريم (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) والدين حث على العمل
 فقال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم
 الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) وأريد منك إذا أتاك طعام من حلال
 فكل منه إن وافقك وإلا دعه من غير أن تذمه فاذا تمسكت بهذه الشروط فقد
 شكرت الله في هذه النعمة وندع هذا بعون الله إلى العضد الخامس (وهو الفرج)
 أخى المؤمن اعلم أن الفرج سم قاتل أهلك الأولين والآخرين وأنت علمت قصة
 هابيل وقابيل وقد تقدمت وقد قتل أخاه بسبب شهوة الفرج . والحروب والفتن
 والفساد وسفك الدماء بسبب شهوة الفرج فاحذر منه واشكر ربك على هذه النعمة
 التى أنعمها عليك فشكرها على نوعين النوع الأول أن تصونها عن المحرمات كالزنى
 واللواط والعادة السرية الحديثة وهى حرقه الشبان قال تعالى . ولا تقربوا الزنى
 إنه كان فاحشة وساء سبيلا ، وحب لأخيك كما تحب لنفسك وإكره له ما تكره
 لنفسك ولا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن وهو من أكبر الكبائر ألم تسمع كلام
 الفراعنة الذين كانوا يعبدون الأصنام والعجول المقدسة فكانوا يقولون إذا دخلت
 بيت غيرك فاحذر من توجه ذهنك إلى حذر نسائه فكم هلك أناس من جراء ذلك

واعلم بأن بيت الزانى مآلة للخراب لانه يخالف للنواميس الطبيعية والزانى يرحم
 إذا كان محصنا وإذا كان غير محصن يجلد مائة جلدة ويغرب سنة عن وطنه إلى مسافة
 القصر وقال عليه الصلاة والسلام : الزنا يورث الفقر ، أما اللواط فعقوبته شديدة
 اقرأ قصة قوم لوط وما جرى لهم من الله بسبب أفعالهم القبيحة أما العادة السرية
 فهي أشنع من الجميع تفتك بصحة الإنسان وتفسد الأخلاق وتجلب للإنسان أمراضاً
 كثيرة خطيرة وفيها غضب الرب اقرأ وابحث عن كتاب ألف حديثاً أضرار العادة
 السرية وعلاجها النوع الثانى أن تجعلها فيما يرضى الله قال تعالى : قد أفلح المؤمنون
 إلى أن قال والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم
 فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، ويحسن بك أن
 تقصد النكاح اقتداء بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الزواج من سقى وقال
 من تزوج فقد كمل نصف دينه فليتق الله فى النصف الآخر وتكون نيتك وقت
 الجماع نية حسنة تريد بهذا الجماع أن تلد امرأة صالحاً يعبد الله ويسبحه بكرة
 وأصيلاً ولا تكثر من ذلك فان فيه ضرر عظيم وأكثر من العبادة فهي الزاد ليوم
 القيامة فاذا فعلت ذلك فقد أدبت شكر الله فى هذه النعمة وندع هذا بعون الله إلى
 العضو السادس (وهو البعد) أخى المؤمن ينبغي لك أن تعرف يدك بأنها نعمة من
 الله عليك فاشكره على هذه النعمة وشكرها من وجهين الأول احفظها عن كل ما حرم
 الله كقتل الناس قال تعالى : ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم ، الآية ولا تؤذى
 انساناً بيدك كسرقة وضرب وإحراق وغير ذلك من الأفعال القبيحة قال تعالى
 : والساارق والساارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله إن الله عزيز حكيم ،
 ولا تخن بها أمانة او ودیعة الوجه الثانى أن تجعلها فيما يرضى الله كبذل الأموال
 للفقراء والمساكين والأيتام والأرامل وصنع آلة تنفع المجتمع الانسانى فاذا فعلت

ذلك فقد نلت ثواباً عظيماً وقد أدبت شكر الله على هذه النعمة وندع هذا بعون الله إلى العضو السابع (وهو الرجل) أخى المؤمن ينبغي لك أن تشكر الحق على هذه النعمة العظيمة التى لولاها لم تعمّر الأرض فشكرها على نوعين النوع الأول حفظها عن المحرمات كزيارة الأغنياء والسلاطين افتخاراً قال تعالى (ومن أجل غيباً لأجل غناه فقد ذهب ثلثا دينه) والسعى بها إلى دور الملاهى والخمر وإلى الزانيات وإلى النساء وإلى إحراق البيوت وقطع النباتات وإلى غير ذلك من المحرمات النوع الثانى أن تجعلها فيما يرضى الله كحج بيت الله الحرام وزيارة الرسول والسعى بها على المعاش وبناء المساجد والمشي بها إلى بيوت الله فلك بكل خطوة تحطوها ثواب عظيم مألذة العيش إلا صحة الفقراء هم السلاطين والسادات والأمراء

والفقير هو المتجرد عن العلائق المعرض عن العوائق لم يبق له قبلة ولا مقصد إلا الله تعالى وقد أعرض عن كل شئ سواه ونحقق بحقيقة لاله إلا الله محمد رسول الله فإذا تمسكت بهذه الشروط فقد فزت برضوان الله وقد أدبت شكر الله على هذه النعمة قد انتهى الكلام على الشكر وعلى الأعضاء السبعة والعلاج فنبداً بعون الله بالملك وهو القلب وتكلم عليه وقد تقدم الكلام على الرعية وفى الختام أرجو من الله أن يجعل جميع المسلمين من الشاكرين آمين .

الباب التاسع — مرض القلب وعلاجه

أحى المؤمن اعلم وفقى الله وإياك أن القلب هو رأس الدولة وهو الراعى وكل راع مسئول عن رعيته وهو الساقى لجميع البدن وهو الإنسان وعليه التكليف فإذا صلح صلح جميع البدن وإذا فسد فسد جميع البدن وصلاح القلب فى خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلو البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين

وأكل الحلال وهو رأسها وقد قيل الطعام بذرا الأفعال إن دخل حلالاً خرج حلالاً وإن دخل حراماً خرج حراماً وإن دخل شبهة خرج شبهة وقال الترمذى : حياة القلوب الأيمان وموتها الكفر وصحتها الطاعة ومرضاها الأصرار على المصيبة ويقظتها الذكر ونومها الغفلة ، وفي الخبر لا تكثروا الكلام فتفسوا قلوبكم واعلم بأن من مرض قلبه منع أن يلبس لباس التقوى فلو صح قلبك من مرض الهوى والشهوة فزت ببلذات التقوى فمن لم يجد حلاوة الطاعة دل على مرض قلبه من الشهوة وقد سمى الله تعالى الشهوة مرضاً بقوله تعالى (فيقطع الذى فى قلبه مرض) ولك فى علاجه خمسة أحوال

دواء قلبك خمس عند قسوته	فدم عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآن تدبره	كذا تضرع بك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه	وأن تجالس أهل الخير والخبر

ينبى لك أن تصوم كثيراً أو تصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع رياضة لنفسك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الشيطان يحمرى فى ابن آدم يحمرى الدم فضيقوا عليه بالصوم) ولأن نفسك لما خلقها الله سبحانه وتعالى ودعاها وقال لها من أنا فلم تحب وقالت له من أنا وفى المرة الثانية قالت من أنا وفى المرة الثالثة قدفها الله فى بحر الجوع فخرجت ذليلة فقال لها من أنا فقالت أنت الله . والمريد إذا لم يصل النهار بالصوم والليل بالقيام لم يصل إلى مراده وقال داود الطائى صم الدنيا وافطر عند الموت وقال الجنيد ما أخذنا العلم من قيل وقال بل أخذناه بالجوع والمجاهدات وأفضل العبادات الصوم لأنه سر بينك وبين الحق قال الله تعالى الصوم لى وأنا أجزى به . والصائم يتفجر من لسانه ينابيع الحكم وينبى لك أن تقرأ كلام الله بالتأني والطمأنينة والترنيل وتدبر معانيه قال تبارك وتعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) اقرأ الآية واعمل بما فيها كانت عائشة رضى الله عنها تقول

كنا إذا سمعنا آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمل بما فيها أولاً ونحفظه
ثانياً . وتجلس أمامه خاشعاً متواضعاً قال تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل
لرأيت خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)
قلو تفكرت القرآن وما فيه من وعيد لبكيت كثيراً ورب تال للقرآن والقرآن يلغنه
وينبغى لك أيضاً أن تبكى على الذنوب وتقول (يا حسرتى على ما فرطت فى جنب
الله وإن كنت لمن الساخرين) وتقول (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا
لكونن من الخاسرين) وقت السحر لأن وقت السحر أوان الصفاء والتجلى قبل إذا
بقى تلك الليل الأخير قال الله سبحانه وتعالى من يدعونى فأستجيب له من يستغفرنى
فأغفر له وكل عين دامت فى سبيل الله أودرفت من خشية الله فتكون آمنة يوم الفزع
الأكبر وفى ظل عرش الرحمن أما ما عدا ذلك فكل العيون باكية والبكاء يغسل القلب
غسلاً من الأخباث وينبغى لك أن تصلى بالليل والناس نيام وقيام الليل من السنن
المؤكدة فمن داوم عليه فاز برضوان الله . والليل يحظّه المریدین وسراج العارفين
وهلاك الغافلين . وصل ركعتين فى الليل حتى يكتبك الله مع الفائزين وقيل أن الشتاء
ربيع الأولياء يومه قصير فيصومونه وليله طویل فيتعبدون فيه قال تبارك وتعالى
وعباد الرحمن إلى أن قال والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً . وقال تبارك وتعالى
. تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وبما رزقناهم ينفقون . وقال
. الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً . الآية فقيام الليل جنة من جنات الفردوس وفيه
كان الأسراء والمعراج فإذا دمت على قيام الليل صلح قلبك وينبغى لك أن تجالس
الصالحين وتصحب لك خليلاً صالحاً يذكرك بأحوال الآخرة فقد قال صلى الله عليه
وسلم . يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحداً من يخال . فإذا علمت أنها الأخ
الشقيق فلا تخال إلا من يهضك حاله وبذلك على الله مقالته وذلك هو الفقير المتجرد

عن السوي المقبل على المولى فليست المدة إلا بخالته ولا السعادة إلا خدمته
ومصاحبه ويجب عليك أن تجالس الصالحين عسى الله أن يحشرك معهم وتصاحبهم
وتأدب معهم في مجالستهم واستغنم وقت صحبة الفقراء واحضر دائماً معهم بقلبك
وجسمك فإن من جالس جالس فإن جلست مع المحزون حزنت وإن جلست مع
المسرور سررت وإن جلست مع الغافلين سرت اليك الغفلة وإن جلست مع الذاكرين
انتهت من غفلتك وسرت اليك اليقظة فانهم القوم لا يشقى جلوسهم فكيف يشقى
خادمهم ومحبههم والطبع يسرق من الطبع :

واحذر مخالطة السفهاء فإنه يعدى كما يعدى الصحيح الأجرب

وقال تعالى (الآنحلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) وقال (ويوم يعض
الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا
خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولاً) وقال
عليه الصلاة والسلام (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كصاحب المسك وكبير
الحداد فصاحب المسك إما أن تشرى منه أو تشم منه رائحة طيبة وكبير الحداد إما
أن يحرقك أو تشم منه رائحة خبيثة وأرجو منك أن تحب المرء لا تحبه الا الله فاذا
فعلت ذلك صلح قلبك ومن دواء القلب أيضاً الصلاة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم لأنه قال لأصحابه لكل شيء طهارة أما طهارة قلوبكم فهي الصلاة على ومن صلى
عليه مرة صلى الله عليه عشراً ومن صلى عليه عشراً صلى الله عليه مائة ومن صلى عليه
مائة صلى الله عليه ألفاً ومن صلى عليه ألفاً حرم الله جسده على النار وقال البخيل إذا
ذكرت عنده فلم يصل على وكفاه نغراً بأن الله سبحانه وتعالى يصلى عليه قال تبارك
وتعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)
فالصلاة من الله رحمته والصلاة من الملائكة استغفار والصلاة من الآدميين طهارة

فاذا دمت على صلاة الرسول فتح الله عليك كل صعب وتشفع لك الرسول يوم
الفرع الأكبر وتشرب من حوضه الشريف وأرجو من الله أن يظهر قلوب المسلمين
من النفاق وعملهم من الرياء آمين .

الباب العاشر — الحكايات والحكم والأمثال

أخي المؤمن اعلم وفقني الله وإياك أنه ينبغي لك أن تقف على سير الصالحين وتمثل
بأفعالهم وأقوالهم لتفوز فوزاً عظيماً :

تشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبه بالرجال فلاح

يحكى أن عبد الله بن المبارك رحمه الله خرج حاجاً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر
نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما هو في الطريق أذ وجد سواد الناس فتميز ذاك فاذا
هي عجوز عليها درع من صدف وخمار من صوف فقال السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته فقالت (سلام قولاً من رب رحيم) قال لها يرحمك الله ما تصنعين في هذا
المكان قالت (من يضل الله فلا هادي له) قال أين تريدان قالت (سبحان الذي
أسرى بعبد له ليل من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) قال أنت منذم في هذا
الموضوع قالت (ثلاث ليال سوياء) قال ما أرى معك طعاماً تأكلين قالت (هو
يطعمني ويسقين) قال فبأي شيء تتوضئين قالت (فلم نجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً)
قال إن معي طعاماً فهل لك في الأكل قالت (ثم أتموا الصيام إلى الليل) قال ليس هذا
شهر رمضان قالت (ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم) قال قد أبيع لنا الإفطار
في السفر قالت (وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون) قال لم لا تكلميني مثل ما أكلتك
قالت (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) قال فمن أي الناس أنت قالت (ولا تقف
ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)

قال قد أخطأت فاجعليني في حل قالت (لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) قال هل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة قالت (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) فاناخ ناقته وقال لها اركبي قالت ، قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، فلما أرادت الركوب نفرت الناقة ومزقت ثيابها قالت ، وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، قال اصبري حتى أعقلها قالت ، ففهمهاها سليمان ، فعقل الناقة وقال لها اركبي قالت ، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا المنقلبون ، فأخذ بزمام الناقة وجعل يسعى وبصبح قالت ، واقصد في مشيك واغضض من صوتك ، فجعل يمشي رويداً رويداً ويترنم بالشعر قالت ، فاقرأوا ما تيسر من القرآن ، قال لقد أوتيت خيراً قالت ، وما يذكر إلا أولوا الألباب ، فلما مشى بها قليلاً سألتها ألك زوج قالت (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤم) ولما أدرك القافلة سألتها من لك فيها قالت ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، فعلم أن لها أولاداً قال لها ماشأنهم في الحج قالت (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) فعلم أنهم أدلاء الركب وقصد بها القباب والعمارات فسألتها من لك فيها قالت (واتخذ الله إبراهيم خليلاً وكلم الله موسى تكليماً . يا يحيى خذ الكتاب بقوة) فنادى على إبراهيم وموسى ويحيى فخصروا فقالت (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فليظرونها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه) ففضى أحدهم واشترى طعاماً وقدموه بين يدي فقالت (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) قال الآن طعامكم على حرام حتى نخبروني بأمرها فقالوا هذه أمنا لها أربعين سنة لم تكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فقال (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ويحكى أن رجلاً قابلاً امرأة جميلة ومتزينة بأحسن زى فقال لها (وزيناها للناظرين) قالت (وحفظناها من كل شيطان رجيم) قال (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) قالت (لن تنالوا

البر حتى تنفقوا بما تحبون) قال وإن لم يجدوا ما ينفقون قالت (أولئك عنها مبعدون)
 قال جاءك مصيبة قالت (وللذكر مثل حظ الأنثيين) ويحكى أن رجلاً تزوج
 بجارتين فوجد هما في أحسن الصفات الفاضلة ولم يستطع أن يميز إحداهما عن
 الأخرى في الكماليات فعمد إلى اختبارهما في الفصاحة وأجلسهما بمعزل عنه وقال لتأت
 كل واحدة منكما إلى بمناسبة فأسرعت إليه إحداهما وقالت (والسابقون السابقون
 أولئك المقربون) وثبتت الثانية في مكانها وقالت (وللآخرة خير لك من الأولى
 ولسوف يعطيك ربك فترضى) فقرت عيناه بهما وأحسن إليهما بحسن المعاشرة ويحكى
 أن امرأة تخاصمت مع زوجها في ولدهما فتالت المرأة للقاضي هذا ولدي كان بطني
 له وعاء وحجري له فناء وثدي له سقاء ألاحظه إذا قام وأحفظه إذا نام فلم أزل على
 هذه الحالة . مدة أعوام فلما كمل فصاله واشتدت أوصاله وحسنت خصاله . أراد
 أبوه أن يأخذه مني ويبعده عنى فقال القاضى للرجل قد سمعت مقال زوجتك فاعندك
 من الجواب قال صدقت ولكنى حملته قبل أن تحمله ووضعتة قبل أن تضعه وأريد
 أن أعليه العلم وأفهمه الحكم فقال القاضى للمرأة ما تقولين فى جواب كلامه قالت
 صدق فى مقالته : ولكن حملته خفا وحملته ثقلا ووضعته شهوة ووضعته كرها فتعجب
 القاضى من كلامها وقال للرجل ادفع لها ولدها فهى أحق به منك . ومن الحكم
 المأثورة عن النبى إلى الامام على قال عليه الصلاة والسلام يا على من كثرت ذنوبه
 ذهب بهاؤه أصدق وإن ضرك فى العاجل فانه ينفعك فى الآجل وغليك بالصدق
 وحفظ الأمانة وسخاء النفس وعفة البطن يا على ألف صديق قليل وعدو واحد
 كثير والصداقة علامات . أن تجمل ماله دون مالك ونفسه دون نفسك وعرضه
 دون عرضك يا على لا توبة للتائب حتى يغسل بطنه من الحرام ويطيب لباسه اذا
 أتى على المؤمن أربعون صباحا ولم يجالس العلماء مات قلبه وجسر على الكبائر

لأن العلم حياة القلب وإن الله لا يستحي من عذاب غنى سارق وعالم فاسق يا على لا
تغير أحدا بما فيه فما من لحم إلا وفيه عضة ولا كفارة للغبية حتى يستحل
ويستغفر له وما خلق الله في الإنسان أفضل اللسان به يدخل الجنة وبه يدخل النار
فاجننه فانه كلب عقور. يا على الدين كله في الحياء وهو أن تحفظ الرأس وما حوى
والبطن وما عوى. يا على لا دين لمن لا خشية له ولا عقل لمن لا عصمة له ولا إيمان لمن
لا روع له. ولا عبادة لمن لا علم له. ولا مروءة لمن لا صداقة له. ولا أمان لمن لا سر
له. ولا توبة لمن لا توفيق له. ولا سخاء لمن لا حياء له. ومن لم يكن له ورع يردعه عن
المعاصي فبطن الأرض خير له من ظهرها لأنه لا إيمان في قلبه. إن الرجل ليلبغ
بالخلق الحسن درجة الصائم القائم المغاوى في سبيل الله. يا على كن بشاشاً فإن الله
يحب البشاشين ويبغض العبوس الكريه الوجه يا على رأس العبادة الصمت إلا من
ذكر الله. وكثرة النوم تميم القلب وتذهب البهاء. وكثرة الذنوب تقسى القلب
وتورث الندم. من أنعم الله عليه فشكر ومن ابتلاه فصبر وإذا أساء استغفر دخل
الجنة من أى باب شاء. يا على لا تنفرح فإن الله لا يحب الفرحين وعليك بالحزن فإن
الله يحب كل قلب حزين وما من يوم جديد إلا ويقول يا ابن آدم أنا يوم جديد وأنا
على عملك شهيد فانظر ماذا تفعل وأمثلة الدنيا كثيرة ذكرت لكى تزهو الإنسان وتذكره
بالآخرة والآخرة خير وأبقى المثال الأول مثل الدنيا كالرباط يمل قوم ويرحل قوم
والمثال الثانى هو كالثوب يشق من أوله إلى آخره فيبقى معلقاً بخيط فى آخره فيوشك
ذلك الخيط أن ينقطع مثال الإنسان والأمل والأجل كمثل شخص وراءه الأجل وأمامه
الأمل فبينما هو يطلب الأمل إذ أتاه الأجل فاحتبسه. مثال آخر للدنيا كمثل قوم نزلوا
فى سفينة فالتسموا المواضع فبلغوا جزيرة فنزلوا لتقضاء حاجة وصاحب السفينة ينادى
أنا النذير والموت المغير ألا عجلاً عجلاً قد أظف الرحيل فتفرقوا ثلاثة فرق فرقة

كانوا أعقل الناس تطهروا ورجعوا فوجدوا مكانهم خالياً فجلسوا واستراحوا وفرقة
اشتغلوا بنضارة الجزيرة والنظر إلى مزخرفاتها وأعاجيبها من أفانين الطيور والأصوات
فلما انصرفوا وجدوها قد امتلأت بالقوم فضاقت عليهم الأرض بما رحبت فجلسوا
على الشعب الشديد وفرقة أخرى كانوا أحق الناس وأجهلهم اشتغلوا بالنضارة
والحديث وجمع آلات الجزيرة وأخذها حتى سيقت السفينة ولم يسمعوا نكير صاحبها
فبقوا في الجزيرة مقيمين متحيرين حتى هلك بعضهم بالجوع وبعضهم بافتراس
النساع فالفرقة الأولى مثال المؤمنين المتقين والفرقة المتخلفة مثال الكافرين والفرقة
المتوسطة مثال العاصين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً . مثال آخر هي كطريق مسافر
فأول منزله المهد وآخره اللحد فكل سنة منزل وكل شهر فرسخ وكل يوم ميل وكل
نفس خطوة وهن يمشون على الدوام والناس مسافرون فمن مسافر في المنزلة وآخر
بقي له فرسخ وآخر بقي له ميل وآخر خطوة في دار الغرور . مثال آخر مثل أبناء الدنيا
كقوم نزلوا دار قوم ضيافة فرأوا دار مزخرفه وأواني موضوعة وفرشاً مبثوثة
فمن كان عاقلاً يكون همه الانصراف عاجلاً ومن كان أحمق يستطيب المكان ويلزم
الموضع لا يبرح منه وينسى أنه مدعو وأنه ضيف والضيف مرتحل فكل من طمع
في مال المضيف يكون مغموماً أبداً وكل من يتبلغ ويخرج يكون مريحاً مستريحاً
فكذلك صاحب الدنيا أمر بالتزود فإذا طمع في الخلود والمقام فقد طمع في غير
مطعم والطمع يهدي إلى طبع أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم
وأولئك هم الغافلون مثال آخر ومن أكل طعاماً شهياً وأسرف في أكله حتى أتخذه
وأفسد معدته ثم جلس خذلاً نادماً يوبخ نفسه فيما فعل ويقول ذهبت اللذة وبقيت
التبعة بذلك فكل طعام يكون أطيب وأشهى فتغله يكون أنثى وأفضح فكل من كانت
لذته في الدنيا أكثر وما له أوفر وعيشه أهنأ خسرته أعظم بمن دون ذلك وكل من

كانت ضياعه وأملاكه وخدمه وحشمه ودرهمه وديناره أكثر تكون له الغمرات أعظم وأمثلة الدنيا كثيرة ولو طولناها لطالت وقال الامام الشافعي رضى الله عنه لو كانت لى الدنيا بعثها برغيف وذلك لما أعلم من عيوبها وآفاتنا وقال أبو حنيفة رضى الله عنه الدنيا أهدنة فكن أنت من أحسن أحاديثها وقال أحمد رضى الله عنه من أراد أن يكون عزيزاً فى الدارين فليرزق فى الدنيا وقال مالك رضى الله عنه ما رعب أحد فى الدنيا إلا انصرف عنها بندم وخجل وحسرة وقال سفيان الثوري وجدت الراحة والأنس فى الخلوة والزهد فى الدنيا ووجدت الغموم والأحزان فى مخالطة الناس والرغبة فى الدنيا وقال داود الأصفهاني من رغب فى الدنيا حرم الحكمة وقال الأشعري من رغب فى الدنيا فقد أحب ما أبغضه الله تعالى وأنبيأؤه وخالف الأنبياء والصالحين وأقول من أحب الدنيا قتل كالدبة تمنع الذباب عن وجهه قتلته بالحجر من جهالة والله در القائل .

ومن صعب الدنيا على جور حكمها فأيامه محسوبة بالمصائب
وقال النبي عليه الصلاة والسلام (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله) وفى
الحق أرجو من الله أن يوفق جميع المسلمين لما فيه الرشاد والسداد آمين :

الباب الحادى عشر — التصوف

أخى المؤمن اعلم وفقى الله وإياك أن علم التصوف هو أشرف العلوم وأفضلها وهو حياة القلوب والأبصار به تشرق الأنوار والتجليات والأسرار والمصافاة فى قلوب الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ويسمى علم الباطن فالشريعة أقوال الرسول والطريقة أفعاله والحقيقة هى ثمرة الشريعة والطريقة . فالشريعة آلة تنير لك الطريق فإذا سلكت فى الطريق وجدته منيراً ورأيت أمامك مكاناً مرتفعاً محفوفاً بالأنوار

مملوءاً بالخيرات الحسان وفيه مآلذ وطاب قلبا وصلت إليه نادتك هواتف الطبيعة
الذى تطلبه أمامك فعرج به إليه فجلس فى بساط الانس والشهود فهذه هى الحقيقة
فالحقيقة جنة تجرى من تحتها الانهار أكملها دائم وظلها تلك عقي الذين انقروا وعقي
الكافرين النار . فالشريعة كالسفينة والطريقة كاللؤلؤ فأنت نزلت البحر بالسفينة
والسفينة لا تجرى على اليابس ومن البحر إلى اللؤلؤ . ولا تظن يا أخى أنى أخذت طريقة
الصوفية ولكنى أحبهم حباً جما ومن أحب قوم حشر معهم وأرجو من الله أن يفتح
على جميع المسلمين بالانقسام لطريقهم العلية آمين قال الامام مالك رضى الله عنه من
تشرع ولم يتحقق فقد تفسق ومن تحقق قبل أن يتشرع فتمد تزندق صدق فى قوله معنى
ذلك أن العالم الذى تشرع وقتنه فى دين الله ولم يجاهد نفسه التى بين جنبيه فقد تفسق .
أما العالم الذى يجاهد نفسه بالرياضات كالصوم والزهد فى الدنيا وفى الناس والقيام
بالليل والناس نيام والبكاء من خشية الله لانهم هم أهل الخشية قال تعالى (إنما يخشى
الله من عباده العلماء) يفتح له باب الافهام ويتحقق ويملا الله قلبه نوراً وإيماناً :
إذا أخلت قلباً من سواه وجدت النور وضاء مبينا
فجاهد ما بقيت وكن مريداً تكن لله صديقاً أميناً

ففى هذه الحالة يكون العالم قد تم إيمانه وإن إلى ربك المنتهى أما من تحقق ولم يتشرع
فقد تزندق ومعنى ذلك لو أن رجلاً جاهلاً لم يعرف كتاب الله ولا يفقه فى دين الله
ويدعى التصوف افتراء من نفسه لأجل أن يصرف وجوه الناس إليه ويأخذ من
أمرهم فتمد تزندق . أما لو بحث معنى فى الحقيقة عن الزنديق فأقول انظر إلى بعقلك
فترض أن شاباً صغيراً لم يجلس أمام معلم ولم يقرأ كتاباً ولا يعرف كتابة أصلاً ولكن
اختصه الله برحمته وملا قلبه إيماناً ونوراً وجعله من أهل العناية قال تعالى (يختص
برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ونطق الشاب بالحكمة والحقيقة والاشارة

هل يكون زنديقاً أى كافراً كلاليس المراد من الزندقة هنا الكفر بل المراد هنا القطب وهذا الشاب الذى تحقق قبل أن يتشرع فقد تشرع قال تعالى (وعلينا من لدنا علما) وقال تعالى (إنهم فتيه آمنوا بربهم وزدناهم هدى) يعنى حقيقة وقال سيدنا معروف الكرخى رضى الله عنه (التصوف الاخذ بالحقائق والياس مما بأيدى الخلائق) وقال الجنيد (ما أخذنا التصوف عن القليل والقال بل عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوف وقال : طريق التصوف عنوة لا صلح فيه وقال : التصوف تجنب كل خلق دنى واستعمال كل خلق سنى وأن تعمل لله من غير رؤية العمل) وقال أبو على أحمد الروذبارى رضى الله عنه (إذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق وأمروه بالكسب وقال : التصوف الاثاخة على باب الحق وإن طردوه وسئل عن التصوف فقال : هو صفوة القرب بعد كدورة البعد) وقال المغربى الزجاجى رضى الله عنه (التصوف الاعتصام بالحقائق عند تباين الطرائق وقيل : أحوال قاهرة وأخلاق طاهرة وحقائق ظاهرة) وقال أبو بكر الصديق (التصوف تفرد العبد بالواحد الصمد الفرد وقال : التصوف تطليق الدنيا بتاتاً والأعراض عن منالها ثباتاً وقال : التصوف الجد فى السلوك الى ملك الملوك وكان يتمدم على المضار لما يؤمل من المسار وقد قيل : التصوف السكون الى اللبيب فى الحنين الى الحبيب وكان يقوم الحقيق معتاضاً للخطير وقد قيل : التصوف وقف الهمم على مولى النعم وقد قيل : التصوف استنفاد الطوق فى معاناة الشوق وترجئة الأمور على تصفية الصدور) واعلم بأن أقرب الطرائق وأسهلها على المرید الوصول الى أعلى درجات التوحيد هذه الطريقة العلية النقشبندية لأن منالها على التصرف والتقاء الجزية المقدمة على السلوك من المرشد الداخلى تحت وراثته صلى الله عليه وسلم فى قوله (ما صب الله فى صدرى شيئاً الا وصيته فى صدر أبى بكر) الذى هو واسطة العقد ومؤسس هذا المجد رضى الله تعالى عنه وعلى

اتباع السنة واجتناب البدعة والاختذ بالعزائم والتخلي عن الرذائل والتخلي بما حسن من الاخلاق والفضائل ومعنى نقشبند ربط النقش وهو صورة الكمال الحقيقي بقلب المريـد وكان ذكرهم في الاول الى زمان الشيخ بهاء الدين الملقب بهذا اللقب قدس الله سره العزيز في الانفراد خفية وفي الجمع جهرآ فأمرهم الشيخ المشار إليه بالخفية بأمر له من روحانية الشيخ عبد الخالق الفجدواني شيخ مشايخه في عالم السير فكان يسر في الذكر افرادآ وجمعآ هو وجماعته فيصير من ذكرهم كذلك في قلب المريـد تأثير يبلغ فكان يقال لذلك التأثير نقش وذلك الذكر بند أي ربط والنقش هو صورة الظاهر لما طبع به على شمع ونحوه وربطه بتأوه من غير محو والله در القائل :

للقشبنديـة العلم العجيب بما	يحل ركب الهدى بالسرف في الحرم
تمحو بصحبتهـا عن قلب سالـكها	هم الرياضات والخلوات والهـم
لهـ سلاسل من نظم الاسود فهل	يحتال ثعلبة في حل نظمهم
أن ينسب القاصر الفهم المتصور لها	فحاش لله أن يجري بذاك في

وقال الجنيد (التصوف جامع لعشر خصال التقلل من كل شيء في الدنيا مع القدرة عليه واعتماد القلب على الله سبحانه وتعالى مع عدم السكون الى الأسباب والرغبة في الطاعة بما استطاع منها والصبر عند فقد الدنيا على المسئلة والشكوى والتميز في الشبهات والحلال والشغل بالله تعالى عن سواه ودوام الذكر له بالقلب واللسان وتحقيق الاخلاص مع الصدق واستواء السريرة والعلانية ودوام المراقبة لله مع السكون اليه في جميع الاحوال فاذا اجتمعت هذه الخصال كان الصوفي في أول مراتب المحبة ثم يرقى الى حالة المشاهدة فيؤخذ منه اليه ويبقى معه في ميدان المحبة والذهشة انتهى) ولم يزد أحد في بيان حقيقة المشاهدة على ما قاله عمرو بن عثمان المكي رضي الله عنه وهي أن تتوالى أنوار التجلي على قلب العارف من غير أن يتخللها ستر واقطاع كـل

فرض اتصال البروق في الليلة المظلمة حتى تصير كالنهار لا اتصال البروق بها كذلك قلب
 العارف باتصال أنوار التجلي حتى يصير دائم النهار غائب الليل وأنشدوا :
 ليسى بوجهك مشرق وظلامه في الناس سارى
 فالناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار
 فشمس النهار تغيب وشمس القلوب ليست تغيب ولا تغل يا أخى أين الأولياء
 والأولياء كثيرون كالنجوم في السماء فهم نجوم الأرض . فالعالم كشخص بلاروح
 والأولياء أرواحهم . مادام العالم موجوداً فالأولياء موجودون لأن الإنسان لا
 يعيش بدون روحه وقد قال تبارك وتعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها
 أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) يعنى من ولى كما قال فتح الله البناني وفي الختام
 أرجو من الله أن يجعل جميع المسلمين من الأولياء آمين .

الباب الثانى عشر — نبذة في أقوال مشايخ الصوفية

أخى المؤمن اعلم وفقنى الله وإياك أن وجود الأولياء في الأرض رحمة بالناس وهداية
 لهم في طريقهم فنبداً بعون الله بسيدى مدين الغوث العارف بالله تعالى تاج الدين بن
 عطاء الله السكندرى وقد ألف قصيدة في آداب الطريق أعرضها عليك لتطلع عليها
 وله حكم كثيرة يطول الكلام عنها في هذه العجالة فقال :

مالذة العيش إلا صحبة الفقرا	هم السلاطين والسادات والأمرأ
فأصحبهم وتأدب في مجالسهم	وخل حظك مهما قدموك ورا
واستغنم الوقت واحضردائماً معهم	واعلم بأن الرضا يختص من حضرا
ولا زم الصمت إلا إن سئلت فقل	لاعلم عندى وكن بالجهل مستترا
ولا تر العيب إلا فيك معتقداً	عياً بدا يديناً لكنه استترا

وحط رأسك واستغفر بلا سبب
 وإن بدا منك عيب فاعترف وأقم
 وقل عبيدكو أولى بصفحكمو
 هم بالتفضل أولى وهو شمتهم
 وبالتفقى على الأخوان جد أبدأ
 وراقب الشيخ في أحواله فمضى
 وقدم الجدد وانفض عند خدمته
 ففي رضاه رضى البارى وطاعته
 واعلم بأن طريق القوم دراسة
 متى أراهم وأنى لى برؤيتهم
 من لى وأنى لمثل أن يزاحمهم
 أحبهم وأداريهم وآثرهم
 قوم كرام السجايا حيثما جلسوا
 يهدى التصوف من أخلاقهم طرقاً
 هم أهل ودى وأحبابى الذين هم
 لا زال شملى بهم فى الله مجتمعاً
 ثم الصلاة على المختار سيدنا
 محمد خير من أوفى ومن نذرا

انتهت القصيدة واقرأ شرحها عنوان التوفيق فى آداب الطريق وتكلم بعون الله
 بسيدنا معروف الكرخى فقال (حقيقة الوفا افاقة السر من رقدة الغفلات وفراغ
 الهم من فضول الآفات) وكان أبواه نصرانيين فسلماه للعلم طفلاً فصار يقول له قل
 ثالث ثلاثة فيقول بل إله واحد فضربه ضرباً مبرحاً فهرب منه وكان أبواه يقولان
 ليه يرجع إلينا على أى دين شاء فتوافقه عليه ثم انه أسلم على يد على بن موسى الرضا

ورجع إلى أبيه فدق الباب فقيل له من باب فقل معروف فقيل له على أى دين فقال على الاسلام فأسلم أبواه وقال معروف إذا أراد الله بعبد خيراً ففتح عليه باب العمل بما علم وأغلق عنه باب الجدل وإذا أراد به شراً فعكسه وقال توكل على الله حتى يكون هو معلمك ومؤنسك وموضع شكواك وليكن ذكر الموت جليساً لا يفارقك وقال طول الأمل يمنع خير العمل وقال كيف يكون تقياً من لا يدرى ما يتقى وقال طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور ورجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقال السخاء لإيثار ما تحتاج إليه عند الاعتثار وقال ما أكثر الصالحين وما أقل الصادقين منهم وقال لولا خروج الدنيا من قلوب العارفين ما قدروا على فعل الطاعات ولو بقي من حبها ذرة في قلوبهم ما سلمت لهم سجدة واحدة وقال العارف يرجع إلى الدنيا اضطراراً والمفتون الاختياراً وقال إذا عمل العالم بعلمه استوت له قلوب المؤمنين فلا يكرهه إلا من بقلبه مرض وقال إذا أراد الله بعبد خيراً زوى الخذلان عنه وأسكنه بين الفقراء الصادقين وإذا أراد به شراً عطله عن العمل الصالح وأسكنه بين الأغنياء وقال شفاء كل بلاء نزل بالعبد كتمانته فان الناس لا ينفعونه ولا يضرونه ولا يعطونه ولا يمدونه وقال ليست المحبة من تعليم الخلق بل من مواهب الله وقال إنما الدنيا قدر تغلى وكنيف يملى وقال احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم وقال لى بعض أصحاب داود الطائى إياك أن تترك العمل فان ذلك الذى يقربك إلى رضا مولاك فقلت وما ذاك العمل قال دوام الطاعة لمولاك وحرمة المسلمين والنصيحة لهم وقال محمد بن الحسن سمعت النبي يقول رأيت معروفاً الكرخى في اليوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي فقلت بزهدك وورعك فقال لا: بل بقبول موعظة ابن السماك ولزومي الفقر ومحبة الفقراء وكانت موعظة ابن السماك ما رواه معروف قال كنت ماراً بالكوفة فوقف

على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس فقال خلال كلامه (من أعرض عن الله بكليته أعرض عنه جملة ومن أقبل على الله تعالى بقلبه أقبل الله تعالى برحمته عليه وأقبل بوجوه الخلق لإيئه ومن كان مرة ومرة فالله تعالى يرحمه وقتاً ما فوقع كلامه في قلبي وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاي على بن موسى الرضا وذكرت هذا الكلام لمولاي فقال يكفيك هذه الموعظة إن اتعظت وكان يهدي إليه طيبات الطعام فيأكل فيقال ما إن أخاك بشراً لا يأكله فيقول أخى قبضه الورع وأنا بسطتني المعرفة إنما أنا ضيف في دار مولاي مهما أطعمني أكلت) وتكلم بعون الله الكلام على أقوال الإمام الحسن السرى السقطى خال الجنيد وأستاذه وانتهت إليه مشيخة الصوفية قال: القلوب ثلاثة قلب كالجبل لا يزعه شيء وقلب كالنخلة أصلها ثابت والريح تميلها وقلب كالريشة تميلها الريح يمينا وشمالا وقال غلامه الاستدراج العمى عن عيوب النفس والاطلاع على عيوب الناس وقال من أحب أن يسلم له دينه ويقل غمه وهمه فليعتزل الناس وقال عجبا لضعيف كيف يعصى قويا وقال أهل الحقائق من أكل المرضى ونومه نوم الغرقى وقال الدنيا أفاعى العلماء وسحارة قلوب الفقراء والقراء وقيل له كيف الطريق إلى الله فقال إن أردت العبادة فعليك بالصيام والقيام وإن أردته فترك كل ما سواه تصل إليه وليس إلا المساجد والخزائب وقال اطلب حياة قلبك بمجالسة أهل الفكر واستجلب نور القلب بدوام الحزن وألح في المسئلة عند وجل القلوب وإياك والتسويق وكانت رضى الله عنه ينشد كثيراً ويقول :

فما أبالي أطلال الليل أم قصرا
وبالنهار أعانى الهم والفكرا

لا فى النهار ولا فى الليل لى فرح
لا تلى طول ليلى هائم دنف

وقال رضى الله عنه أرقت ليلة فلم أطق القميص مع خدمته من التهجّد وكثره التفكير فلما صليت الفجر خرجت لا يقر لى قرار فقلت أمضى لبعض الوعاظ لعلّ أجد لقلبي راحة فلما وقفت عليه وجدت قلبي لا يزداد الا قساوة فقلت أمضى إلى الشرطة لعلّ أعتبر بمن يعاقب في الدنيا فلما مضيت وجدت قلبي على حاله فقلت أمضى إلى المارستان لعلّ أعتبر بمن قد ابتلى فلما دخلت المارستان وجدت قلبي قد انفتح وارتاح فرأيت جارية جالسة على سرير من أحسن الناس وجهاً وعليها أطهار حسنة وشممت منها رائحة طيبة وهي غضيضة النظر مقيدة الرجلين مغلولة اليدين فلما رأتهى تفرغرت عيناها بالدموع وأنشدت :

أعينك أن تغل يدي	بغير جريمة سبقت
وبين جوانحي كبد	أحس بها قد احترقت
تغل يدي إلى عنقي	ولا خانت ولا سرت
قلو قطعنها قطعاً	وحفك عنك ما برحت

قال السرى فلما سمعت كلامها قلت للقيم ما هذه الجارية فقال جارية مجنونة حبسها مولاهما لكي تصحو قال فأردت الدنو منها فقال لى القيم لا تقرب منها فان الذى بها عظيم فلما سمعت كلام القيم تفرغرت عيناها بالدموع وأنشدت :

معشر الناس ما جننت ولكن	أنا سكرانة وقلبي صاحى
أنا مجنونة بحب حبيب	لست أبغى عن بابه من براح
وصلاحى الذى رأيت فسادى	وفسادى الذى رأيت صلاحى
ما على من أحب مولى الموالى	وارتضاء لنفسه من جناح

فلما سمعت ذلك منها ألقضى وأبكاني فلما رأتهى على تلك الحالة قالت بأسرى بكأوك هذا على ذكر صفته فكيف لو عرفته حق معرفته ثم بكى وأنشدت :

الْبَسْتَنِي ثُوبَ وَجَسَدِ طَابَ مَلْبَسِهِ فَأَنْتَ مَوْلَى الْوَرَى حَتْمًا وَمَوْلَانِي
كَانَتْ بَقْلِي أَهْوَاءَ مَفْرَقَةٍ فَاسْتَجْمَعْتَ مَذْرَأَتَكَ الْعَيْنَ أَهْوَانِي
فَنَصَارَ يَحْسَدُنِي مَنْ كُنْتُ أَحْسَدُهُ وَصَرْتَ مَوْلَى الْوَرَى إِذْ صَرْتَ مَوْلَانِي
تَرَكْتُ لِلنَّاسِ دُنْيَاهُمْ وَدِينَهُمْ شَغَلَا بِحَبْسِكَ يَادِينِي وَدُنْيَانِي
مَنْ غَصَّ دَاوِي بِشَرْبِ الْمَاءِ غَصَّتْهُ فَكَيْفَ يَصْنَعُ مَنْ قَدْ غَصَّ بِالْمَاءِ
وَالشُّوقُ خَاطِرِي مَنِي وَفِي كَبْدِي وَالْحُبُّ مَنِي مُقِيمٌ بَيْنَ أَحْشَائِي

قُلْتُ يَا جَارِيَةَ قَالَتْ لِيَبِكْ يَا سَرَى قُلْتُ وَمَنْ أَيْنَ عَرَفْتَ اسْمِي وَمَا رَأَيْتُكَ قَبْلَ هَذَا
فَقَالَتْ عَرَفَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَلَامُ الْغُيُوبِ قُلْتُ لَهَا وَمَنْ حَبْسِكَ وَمَا سَبَبُ حَبْسِكَ وَأَنْتِ
عَلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِخْلَاصِ فِي الْحُبِّ قَالَتْ يَا سَرَى زَعَمُوا أَنِّي مَجْنُونَةٌ وَهُمْ أَوْلَى بِاسْمِ
الْجَنُونِ مِنِّي ثُمَّ بَكَتُ طَوِيلًا ثُمَّ قُلْتُ لَهَا مَا اسْمُكَ قَالَتْ تَحْفَةُ فَقُلْتُ لَقِيمُ الْمَارِسْتَانِ حُلِّ
عَنْهَا قَيْدَهَا وَانْزِعِ الْغُلَّ مِنْ عُنُقِهَا فَقَعْلُ ثُمَّ تَحَادَّثْنَا سَاعَةً وَإِذَا مَوْلَاهَا قَدْ أَقْبَلَ فَلَمَّا رَأَى
سَلَّمَ عَلَيَّ وَأَعْظَمَنِي فَقُلْتُ يَا فَتَى إِنِّهَا بِالْأَعْظَامِ أَوْلَى مِنِّي فَمَا الَّذِي تَفَكَّرُ مِنْ هَذِهِ الْجَارِيَةِ
قَالَ كَثْرَةُ بَكَائِهَا وَأُنَيْنِهَا وَهِيَ ذَاهِلَةٌ الْعَقْلَ طَوِيلَ لَيْلِهَا قَائِمَةٌ لَا تَنَامُ وَلَا تَدْعُنَا نَنَامُ وَهِيَ
وَاللَّهِ بِضَاعَتِي شَرِبْتُهَا بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ لِحَسَنِ صُنْعَتِهَا قُلْتُ مَا صُنْعَتُهَا قَالَ عَوَادَةُ تَضْرِبُ
بِالْعُودِ قُلْتُ سَبَبُ ذَلِكَ قَالَ بَيْنَمَا هِيَ تَغْنِي وَعُودُهَا فِي حَجَرِهَا وَهِيَ تَقُولُ :

مَلَأَتْ جَوَانِحِي وَالْقَلْبَ وَجَدًا فَكَيْفَ أَقْرَأُ وَأَسْلَى وَأَهْدَا
وَحَقِّكَ لَا تَقْضِ الدَّهْرَ عَهْدًا وَلَا كُذِّرْتَ بَعْدَ الصَّفْوِ وَرَدَا
فِيَا مَنْ لَيْسَ لِي مَوْلَا سِوَاهُ تَرَاكَ رَضِيَّتِي فِي النَّاسِ هَبْدَا
إِذْ رَمَتِ الْعُودَ فَكُسِرَتْ فِهَذَا كَانَ سَبَبُ جُنُونِهَا فَلَمَّا سَمِعْتَ الْجَارِيَةَ ذَلِكَ أَنْشَدَتْ :

خَاطَبَنِي الْحَقُّ مِنْ جَنَانِي فَكَانَ وَعْظِي عَلَى لِسَانِي
قَرَّبَنِي مِنْهُ بَعْدَ بَعْدٍ وَخَصَّنِي مِنْهُ وَاصْطَفَانِي
أَجَبْتُ لَمَّا دَعَيْتُ طَوْعًا مَلِيًّا دَاعِيًّا دَعَانِي

فقلت لمولاها أطلق سبيلها وعلى خمسمائة دينار أدفعها لك في غد إن شاء الله تعالى فقال
تكون مقيمة في موضعها هذا حتى تحضر المال أو تفيق من الجنون قال السرى فانصرفت
وأنا باكى العين حزين القلب على الجارية فلما كان جوف الليل وإذا بالباب يطرق
فخرجت فوجدت خمسة من الرجال قتل ما حاجتكم فقال أحدهم أخ في الله تعالى جاء
لسبب من الأسباب بإذن الملك الوهاب ففتحت فقال أتأذن في الدخول قتل نعم
فدخل ومن معه وعلى أكتافهم أربع بدر دنانير ويدهم الغلام شمع فقال أتعرفنى قلت لا
قال أنا أحمد بن المثنى بينما أنا نائم وإذا هاتف يقول يا بن المثنى هل لك في معاملة المولى
جل جلاله قتل يا فرحى إن كنت للرق أصلح فقال أحمل من مالك أربع بدر إلى السرى
السطى يشتري بها تحفة فإن لنا بها عناية وقد جعلناها من أهل الولاية واعلم مولاها
إن الله سيفتح عليه من حيث لا يحتسب فقممت وسارعت إلى ما أمرت وهذا المال
قد جئت به قال السرى فسجدت شكراً لله تعالى على هذه النعمة الجديدة ولم يزل إلى
أن طلع الفجر فلما صلبنا الصبح أتينا المارستان وإذا قيم المارستان على الباب فلما رآنى
قال جئت من أجل تحفة قلت نعم وحكى له ما قال ابن المثنى من كلام الهاتف ثم دخلنا
المارستان ومعنا القيم فلما رأتنا تفرغت عناها بالدموع وأشدت تقول :

قد تصيرت إلى أن عيل في حبك صبرى
ليس يخفى عنك أمرى يامنى قصدى وذخرى
أرى تعشق رقى أو تفك اليوم أسرى

فبينما نحن جلوس وأنا أقول لها قد أجبت الدعوة إذ دخل مولاها حزينا متغير اللون
باكياً قتل لا تبكى قد فرج الله عز وجل وقد حصل المال مثل ما أردت وإذا طلبت
ربحاً أعطيناك ولو أنه خمسة آلاف دينار فقال لافعلت ولو كان ملء الأرض ذهباً
وفضة قتل يا قى ما هكذا كان كلامك بالأمس فقال هيات ياسرى لو تعلم ما جرى على

من التوبيخ البارحة وماهتف بي الهاتف اعلوا أن هذه الجارية حرة لوجه الله تعالى
وجميع ما أملكه صدقة لله تعالى فالتفت فاذا ابن المثنى يبكي بكاء شديدا فقلت له ما يبكيك
فقال إن الله عز وجل لم يرضني فقلت له قد وقع الاجر وحصلت النية ونية المرء خير
من عمله ولم أزل أسكنه حتى سكن مائة ثم قال لي ياسرى هذا المال خرجت عنه الله تعالى
ولاسبيل إلى الرجوع به وإنما هو وباقي مالى صدقة وكل ربيع لي فهو حبس في سبيل
الله تعالى وكل مملوك لي فهو حر لله تعالى وأنا هارب إلى الله تعالى تائب إليه من جميع
ذنوبي فقامت الجارية فنزعت ما كان عليها ولبست مدرعة من الشعر وخماراً من الصوف
وقامت تمشي معنا وهي تبكي وتقول :

ياسرور القلوب أنت سرورى ووصالى وأنت نور النور
كم ترى يصير المحب عن الحب وكم يلبث أهوى فى الصدور
ثم قالت : واطول حزنائه ثم فارقتنا ومضت وهي تقول :

بكيت منه عليه هربت منه إليه
وحقه وهو سؤلى لازلت بين يديه
حتى أنال وأحظى بما أتكلت عليه

قال السرى ثم غابت عنا فلما كان فى بعض السنين حججت أنا ومولاها فبينما نحن فى
الطواف إذ سمعت صوتاً حزيناً من امرأة تنادى بالبكاء ياسيدى فلما رأتنا أنشدت :

حُب الله فى الدنيا سقيم تطاول سقمه فمدواه داه
يهم بحبه شوقاً إليه فليس يريد محبوباً سواه
كذلك كل من يدعى محباً يهم بحبه حتى يراه

ثم سقطت مغشياً عليها فلما أفاقت أنشدت :

أموت وماتت لديك صبايتى ولا رويت من فرط حبك أوطارى

منأى المنى أنت لى المسمى وموضع أشواقى ومكنون أسرارى
أست دليل القوم إن هم تحيروا ومنقذ من أشقى على جرف هار
فتقدمت إليها فإذا هى تحفة فقلت لها ما وهبك الله بانقطاعك عن الخلق فقالت آنسى
بقربه وأوحشنى من خلقه فقلت يا تحفة إن ابن المثنى قد مات فقالت رحمه الله وغفر
له إنى لأرجو له من الله تعالى كل خير ونعيم وزلى وسيجزيه الله عز وجل بكل
درهم أنفقه فى سبيل الله سبعائة ضعف إلى أضعاف مضاعفة ثم قال الهى وسيدى
ومولائى أسألك بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات واصلح عليه أمر الدنيا والآخرة
أن تقبضنى إليك إلى كم أبقى فى دار الدنيا محزونة الهى قد طال شوقى إليك فعجل
ربى قبض روحى إليك يا أرحم الراحمين وبحبيب دعوة المضطرين ثم استقبلت القبلة
وتشهدت فماتت رحمها الله تعالى فما أعظم بركة هذه الجارية على الجميع وتكلم بعون
الله على أقوال الجنيد محمد الزجاج البغدادى رضى الله عنه الذى كان بحرأ فى العلوم
وهو شيخ طريق التصوف وكان يقول علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وقال مكابدة
الغزلة أيسر من مداراة الخلطة وقال التصديق بعلمنا هذا ولاية إذا فأتتك المنة فى نفسك
فلا تفتك أن تصدق بها فى غيرك فإن لم يصبها وابل فطل وقال بنى الطريق على أربع
لا تكلم إلا عن وجود ولا تأكل إلا عن فاقة ولا تنم إلا عن غلبة ولا تسكت إلا
عن خشية وقال صفاء القلوب على حسب صفاء الذكر وخلصه عن الشوائب وقال أقل
ما فى الكلام سعة طهية الرب جل جلاله من القلب والقلب اذا عرى من الهية عرى
من الايمان وقال الاستثناس بالناس حجاب عن الله والطمع فيهم قعر الدارين وقال
لا يصفوا قلب لعمل الآخرة إلا ان تجرد عن حب الدنيا وقال حقيقة المشاهدة وجود
الحق مع فقدانك وقال العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤس الملوك
وقال التواضع خفض الجناح ولين الجانب وقال أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع
الله فى ميدان فذكر التوحيد وقال أول مقام التوحيد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم

أن تعبد الله كأنك تراه وقال الشفقة على الناس أن تعطيهم من نفسك ما يطلبون ولا تحملهم إلا ما يطيقون ولا تخاطبهم بما لا يعلمون وقال من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة وقال إذا أراد الله عبداً للمحبة كشف له عن قدر انعامه عليه وبره إليه وكثرة الأيادي القديمة عنده وقال الورع في الكلام أشد منه في الكسب وقال أعلم الناس بالآفات أكثرهم آفة وسئل عن العشق فقال لا أدري ما هو لكن رأيت رجلاً أعشى عشق صديقاً وكان الصبي لا يثق له فقال له الأعمى أى شيء تريد منى قال روحك فقارق روحه حالاً وتكلم بعون الله على الضرغام البسطامى رضى الله عنه أشهر من أن يذكر وأعرف من أن يعرف كان نادرة زمانه حالاً وقال وأنفاساً وورعاً وعلماً وتقياً ووجداً وزهداً وهو سلطان العارفين وكان إذا ذكر الله يبول الدم وقال أبو يزيد البسطامى أوقفنى الحق بين يديه وقال يا أبا يزيد بأى شيء جئتني قلت بالزهد في الدنيا قال إنما مقدار الدنيا عندي جناح بعوضة فقيم زهدت قلت الهى أستغفرك من ذلك جئت بالتوكل عليك قال ألم أكن ثقة فيما ضمننت لك قلت أستغفرك جئت بك أو قال بالافتقار إليك فقال عند ذلك قبلتك وقرئ عليه أن بطش ربك لشديد فقال بطش أشد ووجهه كما قال سيدنا الشيخ الأكبر قدس الله سره أن بطش العبد بطش معرى عن الرحمة فليس عنه حال بطشه من الرحمة شيء وبطش الحق بكل وجه فيه رحمة بالمبطوش به فهو الرحيم له في بطشه وسئل من أين تأكل فقال مولاي يطعم الكلب والخنزير أفلا يطعم أبا زيد وقال ليس العالم من يحفظ من كتاب فأذاني ما حفظ صار جاهلاً بل من يأخذ العلم من ربه أى وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني وقال طاعت الدنيا ثلاثاً وسرت إلى ربى وحدي فناديت الهى أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك فعلم صدق فأناستى نفسى بالكلية وأنصب الخلق بين يدي مع اعراضى عنهم وقال لله عباد لو حجبهم في الجنة عن رؤيته

لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث بالخروج أهل النار من النار وقال ما دام العبد يظن في المسلمين من هو شر منه فهو متكبر وسئل متى يكون الرجل متواضعاً فقال إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالاً ولا يرى أن في الخلق من هو شر منه وقال أشد المحجوبين عن الله ثلاثة الزاهد بزهده والعابد بعبادته والعالم بعلمه مسكين الزاهد لو أن الدنيا كلها سماها الله قليلاً ما زهد فيها مسكين العالم لو علم أن جميع ما أوتيته من العلم بعض سطر واحد من اللوح المحفوظ ما نظر لعلمه وقال محال أن تعرفه ثم لا تحبه وقال الجوع سحاب فإذا جاع العبد أمطر القلب الحكمة وقال متى وجدت قلبك مستريحاً ودمعك جامداً وعقلك حاضراً فأنت بعيد من المحبة وقال النفس تنظر إلى الدنيا والروح إلى الآخرة والمعرفة تنظر إلى الله فمن غلبت نفسه عليه فهو من الهالكين ومن غلبت روحه عليه فهو من المجتهدين ومن غلبت معرفته عليه فهو من المتقين وقال رأيت رب العزة فقلت يارب كيف أجذك قال اترك نفسك وتعال وقال عرفت الله بالله وعرفت ما دون الله بنور الله وقال من نظر إلى الخلق بالخلق أبغضهم ومن نظر إلى الخلق بالخالق رحيمهم وتكلم بعون الله بسيدنا أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي رضي الله عنه وكان الغالب عليه الحزن فكان يقول بالليل ألمي همك عطل على المصوم وحال بيني وبين الرقاد وشوقني إليك النظر ومنعني اللذات والشهوات فأنا في سجنك أيها الكريم وكان يترنم في السحر بشيء من القرآن فيرى أن جميع نعيم الدنيا في ترنمه تلك الساعة وكان لا يسرج سراجاً أبداً وصام أربعين سنة لا يعلم به أهله وكان خرزاً وكان يحمل غداه معه وتصدق به في الطريق ويرجع إلى أهله ويفطر عندهم عشاء وقال صم عن الدنيا وأفطر على الموت حتى إذا كان عند المعاينة أتاك خازن الجنان بشربة من ماء الجنة تشربها على فراشك فتخرج من الدنيا وأنت ريان وتنزل القبر وأنت ريان وتخرج منه وأنت ريان ويمكث الناس يترددون في ظلة القيامة جياً عطاشاً ما شاء الله وأنت ريان وقال له رجل أوصني فقال عسكر الموت ينتظرك وقال له آخر أوصني قال أقلل من معرفة

الناس قال زدنى قال إرض بالقليل من الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بها مع فساد الدين وقال لا تمهر الدنيا دينك فمن أمهرها دينه زفت إليه الندم وقال اصحب أهل التقوى فانهم أيسر أهل الدنيا مؤنة عليك وأكثرهم معونة لك وقال إني أستحي من الله أن يرانى أدخلو خلوقة ألتبس فيها راحة نفسى فى الدنيا حتى يخرجنى الله منها وقال مسكين ابن آدم قطع الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار وقال لسفيان الثورى رضى الله عنهما إذا كنت تشرب الماء المبرد وتأكل اللذيذ المطيب وتمشى فى الظل فتى تحب الموت والقدوم على الله فبكى سفيان وتكلم بعون الله بسيدنا السيد محمود أبو الفيض المنوفى الذى ألف قصيدة فى نشيد الأرواح فقال :

هيا يا سرب المعالى	نحسو أبواب السماء
وأشدوا لحن الجبال	واغنموا وقت الصفاء
واخلعوا الجسم وطيروا	واهجروا كون الفناء
واسبقوا ريح الشمال	فى مبادىن الفضاء
نحو أوطان الكمال	والعبادة والنقاء
واطرقوا الباب وقولوا	افتحوا يا أهل العلا
كلنا صب مشوق	كلنا يرجو القاء
فاكرمونا واقبلونا	وافتحوا باب الضياء
فاذا احتجوا وقالوا	إنكم طين وماء
أرضكم دار الفساد	طبعكم سفك الدماء
عاقبكم جسم كثيف	عن سيل الأصفاء
فاحسنوا الرد وقولوا	نحن أبناء السماء
قد هبطنا من علو	إمشالا للقضاء
وسكننا الأرض حينما	لا متحان وابئلاء

وظهـور	لصفـات	حيث نحن الخلفاء
واقـد	عدنا إليكم	نرتجى كشف الغطاء
ويكم	حقاً وعدنا	مثلكم دار البقاء
ولنا	فيها مقام	وخلود وهناء
ولنا	رب رحيم	ونصير الاتقياء
وهو	وهاب حكيم	وكرم في العطاء
وهو	للداعي مجيب	وسميع للدعاء
لطفه	منا قريب	في ظهور وخفاء
سرنا	سر عجيب	ضل فيه الازكياء
جسمنا	رمر بديع	أهتبه القـدما
ذاتنا	كنز ثمين	أعـى فهم الحكماء
وهي	مرآة العلوم	وهي قصد الأنبياء
وهي	خلق وهي أمر	وهي عرش واستواء
وهي	لاهوت التجلي	وتاسوت الاصطفاء
وهي	شمس الذات فينا	وهي نور وسناء
فأكثروا	الشكر جميعاً	فهو أصل الاجتباء
ثم صلوا	كل حين	في صباح ومساء
على أصل	النور طه	في ابتداء وانتهاء

انتهى التخصيصة واقرأ شرحها لابن الخطاط الطهطاوى تليذه وخادمه قد تم الكتاب
بمقدرب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين يوم الثلاثاء ٢٥ من محرم سنة
١٣٦٤ هـ نجاء بتوفيق الله وفى المراد وأرجو من الله أن يكون خالصاً لوجه الكريم
(وينفع به المسلمين آمين)

الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	صفحة	السطر	الخطأ	الصواب	صفحة	السطر
يفقه	يفقهه	٤	١٦	وزجة	وزوجة	٣٩	١٦
المنارية	المنوية	٦	٤	كفور	كفار	٤١	٩
لموعظة	الموعظة	٨	٢	ويصمت	أوليصمت	٤٢	٢
بعظم	لعظم	١٠	١٢	بستب	بسبب	٤٤	١٤
للشيلي	للشيلي	١٢	١٥	حذر	خذر	٤٤	٢١
الشيخ	الشيخ	١٧	١٩	صدف	صوف	٥٠	٩
أن لا	أن تدخل	٢٠	٢	والصدقة	والصدقة	٥٢	١٩
عر	عر	٢٠	١٥	اللسان	من اللسان	٥٣	٣
يرض	يرضى	٢٣	٥	روع	ورع	٥٣	٣
جلى	على	٢٤	٨	تزهد	تزهّد	٥٣	١٥
ويجبه	ويجبه	٢٥	٣	فراؤدار	فراؤدارام	٥٤	١٢
البسطاسى	البسطاسى	٢٨	١٦	رعب	رغب	٥٥	٥
عن	من	٣٠	٣	عن وجه	وجه صاحبها	٥٥	١٠
أثوى	أثرى	٣٠	٣	الطبيعة	الحقيقة	٥٦	١
قتلهم	قتلهم	٣٣	٦	قوم	قوماً	٥٦	٦
وقع يده	وقع في يده	٣٣	٦	لطريقهم	لطريقهم	٥٦	٧
تسمى	يسمى	٣٦	١٧	وعلنا	وعلمناه	٥٧	٢
الحق	الحق	٣٨	١٨	غنية	خينة	٥٧	٣